مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (٥)، العدد (٢)، ص ص ٤٩٥-٥٦٧، (رجب ١٤٣٣هـ /مايو ٢٠١٢م)

أجمع آية في كتاب الله
دراسة تفسيرية

د. أحمد بن سليمان بن صالح الخضير
أستاذ القرآن وعلومه المساعد
بقسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم

(قدم للنشر في ١٤٣٢/١١/٥هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٣٣/٣/١٣هـ .)

ملخص البحث. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

تضمن هذا البحث دراسة لتفسير أجمع آية في كتابة الله وسبب النزول والفنون البلاغية وكذلك استخراج الفوائد من الآية ثم ختم البحث بأهم النتائج والتوصيات.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه الكريم هداية للناس، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وبيّن سبحانه وتعالى الحكمة من إنزاله، فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]، فالنبي ﷺ أوّل من فسَّر القرآن الكريم، وسار على ذلك الصحابة والتابعون من بعدهم، وتوالت القرون تلو القرون بعد ذلك كلٌّ يفسِّر القرآن، ولا عجب في ذلك فالقرآن هو المصدر الأول لهذه الأمة العظيمة، والمعين الصافي الذي لا ينضب، وكل يفسر القرآن الكريم بما فتح الله عليه، وبما أوتي من الفهم والعلم، فتفاوت الناس في ذلك.

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من أراد العلم فليثور[1] القرآن، فإنه فيه علم الأولين والآخرين"[2].

---

(١) قوله: "فليثور": أي لينَقِّر عنه، ويفكّر في معانيه، وتفسيره وقراءته. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٢٥/١)] مادة "ثور".

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٨٦٦٤) (١٣٥/٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد في كتاب التفسير، باب منة في فضل القرآن ومن قرأه برقم (١١٦٦٧) (٢٤٧/)، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح".

ومن خلال قراءتي في كتب التفسير شدّني ما قاله ابن مسعود ﷺ: "إن أجمع آية في كتاب الله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

فأخذني حب الاستطلاع إلى أن أنظر في سبب قول ابن مسعود هذا، كيف لا وهو من قال فيه النبي ﷺ: "من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد"(٣).

فرحت أجمع كلام أهل العلم حول الآية الكريمة، من لدن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين إلى وقتنا المعاصر، فجمعت مادة علمية لا بأس بها، وقسمتها إلى مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة وفهارس، وكانت على النحو التالي:

- **المقدمة:** وفيها سبب اختيار الموضوع.
- **التمهيد:** وفيه ذكرت الأثر عن ابن مسعود كاملاً مع تخريجه، وكلام أهل العلم حوله.
- **المبحث الأول:** سبب نزول الآية.
- **المبحث الثاني:** فضائل الآية الكريمة.
- **المبحث الثالث:** مناسبة الآية، وفيه مطالب:

---

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه في فضل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، حديث (١٣٨) (ص٢١)، وقال الألباني: "صحيح"، انظر: صحيح سنن ابن ماجة (٦٣/١)، وأحمد في المسند (١٠٩/١) حديث (١٧٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب ممن يؤخذ القرآن، رقم (٣٠٧٥٩) (٥١١/١٥)، والطحاوي في مشكل الآثار، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ من قوله: "خذوا القرآن عن أربعة... الحديث" (٥٥٩٣) (٢٣١/١٤)، وقال محقق الكتاب شعيب الأرناؤوط: "إسناد صحيح على شرط الشيخين".

المطلب الأول: مناسبة سورة النحل لما قبلها.

المطلب الثاني: مناسبة الآية لما قبلها.

المطلب الثالث: تناسب كلمات الآية مع بعضها البعض.

- **المبحث الرابع:** تفسير الآية وشرح الكلمات.
- **المبحث الخامس:** القراءات في الآية.
- **المبحث السادس:** الإعراب والبلاغة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إعراب الآية.

المطلب الثاني: الفنون البلاغية في الآية.

- **المبحث السابع:** الفوائد والاستنباطات.
- **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.
- **فهرس المراجع.**

وقد كان منهجي في البحث على النحو التالي:

١- ذكر الآية ورقمها واسم السورة.

٢- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين فإني أكتفي بذلك، وإن كانت في غيرها فإني أذكر كلام العلماء حولها من تصحيح وتضعيف مع الإحالة على ذلك.

٣- خرجت الآثار من مظانها، وذكرت كلام أهل العلم حولها.

٤- بيّنت معاني الكلمات الغريبة، ووثقت ذلك من المصدر الأصلي لها.

٥- وثّقت الأبيات الشعرية من مظانها، مع ذكر القائل وبيان المعنى اللغوي للبيت، مع ضبطه بالشكل.

٦- حاولت ترتيب كلام أهل العلم حسب الوفاة الأقدم فالأقدم.

٧- وضعت خاتمة فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

٨- وضعت فهارس كاشفة تسهل الرجوع إلى البحث.

وقد وسمت هذه السطور في شرح الآية بـ "أجمع آية في كتاب الله – دراسة تفسيرية –".

راجياً من الله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك في موازين حسناتي، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

وفيه ذكر الأثر عن ابن مسعود ﷺ، وتخريجه من كتب السنة، وقد ابتدأت بذكر الأثر برواية الإمام عبدالرزاق الصنعاني (ت ٢١١) لكونه أقدم من روى الأثر عن ابن مسعود ﷺ.

قال عبدالرزاق عن الثوري عن جابر وغيره عن الشعبي عن مسروق وشُتَيْر بن شكل العبسي، قالا: جلسنا في المسجد فثاب إليهما[٤]، فقال أحدهما لصاحبه إنه لم يُقدم إلينا إلا أنَّا لنحدثهم[٥]، فإما أن تحدّثهم فأصدقك، وإما أن أحدّثهم وتصدقني، فقال أحدهما: سمعت عبدالله يقول: أعظم آية في القرآن آية الكرسي [البقرة: ٢٥٥]، قال الآخر: صدقت، قال الآخر: سمعت عبدالله يقول: أجمع آية في القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، قال: صدقت، وسمعته

---

(٤) قوله: "فثاب إليهما"، جاء في رواية أخرى: "فلما رآهما الناس تحولوا إليهما"، أخرجها ابن الضريس في فضائل القرآن برقم (١٨٧) (ص٩١).

(٥) قوله: "إنه لم يقدم إلينا إلا لنحدثهم"، جاء في رواية أخرى: "فقال شتير لمسروق: إنما تحول هؤلاء إلينا لنحدثهم" أخرجها ابن الضريس في فضائل القرآن رقم (١٨٧) (ص٩١).

يقول: أشد آية في القرآن تفويضاً ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]، قال: صدقت، قال: وسمعته يقول: أكبر آية[٦] فرجاً ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر: ٥٣]، قال: صدقت"[٧].

وأخرج الأثر - أيضاً - أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) في فضائل القرآن، باب فضائل آيات من القرآن برقم (ت ٥٣٧)[٨]، وسعيد بن منصور في سننه، في تفسير سورة البقرة[٩]، رقم (٤٢٦)، وقال محقق الكتاب د/سعد بن عبدالله آل حميد: "سنده صحيح"[١٠].

وأخرجه أيضاً ابن الضريس البجلي (ت ٢٩٤) في فضائل القرآن، باب فضل آية الكرسي رقم (١٨٧)[١١]، والطبري (ت ٣١٠) في تفسيره[١٢]، والطبراني (ت ٣٦٠) في المعجم الكبير، باب خطبة ابن مسعود ومن كلامه رقم (٨٦٥٩)[١٣]، والحاكم (ت ٤٠٥) في المستدرك على الصحيحين، تفسير سورة النحل رقم (٣٤٠٩)، **وقال الحاكم**: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"[١٤]، والبيهقي

---

(٦) قوله: "أكبر آية"، جاء في رواية أخرى "أكثر آية"، أخرجها أبو عبيد في فضائل القرآن رقم (٥٣٧) (٨٥/٢).

(٧) انظر: مصنف عبدالرزاق (٣٧٠/٣) رقم (٦٠٠٢).

(٨) انظر: (ص٨٤).

(٩) انظر (٩٥٣/٣).

(١٠) انظر: المصدر السابق حاشية رقم (٣).

(١١) انظر: (ص٩١).

(١٢) انظر: (١٩٩/٨).

(١٣) انظر: (١٣٢/٩).

(١٤) انظر: (١٠١/٣).

(ت ٤٥٨) في الجامع لشعب الإيمان، باب تخصيص آية الكرسي بالذكر برقم (٢١٧٣)[١٥]، وقال محقق الكتاب د/عبد العلي عبدالحميد حامد: "رجاله ثقات"[١٦].

وذكره أيضاً الهيثمي (ت ٨٠٧) في مجمع الزوائد، كتاب التفسير سورة النحل رقم (١١٢١).

المبحث الأول: سبب نـ ـ ـزول الآيـ ـ ـة

يذكر المفسّرون أثرين عن ابن عباس وعثمان بن أبي العاص في سبب نزول الآية الكريمة، وفي الحقيقة لا يبدو لي أنهما صريحان في بيان سبب نزول الآية بقدر ما هو بيان لوقت نزول الآية، قال الواحدي (ت ٤٦٨)' في كتابه أسباب النـزول: "أخبرنا أبو إسحاق، .... حدثنا عبدالله بن عباس، قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته بمكة جالساً إذ مرّ به عثمان بن مظعون فكشر[١٧] إلى النبي ﷺ، فقال له: "ألا تجلس"، فقال: بلى، فجلس إليه مستقبله، فبينما هو يحدثه إذ شخص[١٨] بصره إلى السماء، فنظر ساعة وأخذ يضع بصره، فأخذ ينغض رأسه[١٩]، كأنه يستفقه ما يقال له، ثم شخص بصره إلى السماء كما شخص أول مرة، فأتبعه بصره حتى توارى في السماء، وأقبل على عثمان كجلسته الأولى، فقال: يا محمد فبينما كنت أجالسك وآتيك ما

---

(١٥) انظر: (٥٦/٤).

(١٦) انظر المصدر السابق حاشية برقم الأثر (٢١٧٣).

(١٧) فكشر: الكشر ظهور الأسنان للضحك، وكاشره إذا أضحك وجهه وباسطه. [انظر: النهاية لابن الأثير (٥٤٢/٢).

(١٨) شخص: شخوص البصر: ارتفاع الأجفان إلى فوق وتحديد النظر وانزعاجه. [انظر: النهاية لابن الأثـ ـير (٤٨٤/١)].

(١٩) ينغض رأسه: يقال نغض رأسه إذا تحرك، وأنغضه إذا حركه. [انظر: النهاية لابن الأثير (٧٦٩/٢)].

رأيتك تفعل فعلتك الغداة[٢٠]؟ قال: ما رأيتني فعلت؟ قال: رأيتك شخص بصرك إلى السماء، ثم وضعته حين وضعته على يمينك، فتحرّفت إليه وتركتني، فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك، قال: "أو فطنت إلى ذلك"؟ قال عثمان: نعم، قال: أتاني رسول الله جبريل عليه السلام، وسلّم آنفاً وأنت جالس"، قال رسول الله؟ قال: نعم، قال: فماذا قال لك؟ قال: "قال لي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، قال عثمان: فذاك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً ﷺ"[٢١].

وعن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالساً إذ شخص ببصره، ثم صوّبه حتى كاد أن يُلْزِقهُ بالأرض، قال: ثم شخصَ ببصره، فقال: أتاني جبريل عليه السلام، فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾"[٢٢].

---

(٢٠) الغداة: هي أول النهار. [انظر: النهاية لابن الأثير (٢/٢٩١)].

(٢١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٢٨٥) رقم (٢٩٢٢)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٨٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٩٨)، والطبراني في الكبير (٩/٣٩) رقم (٨٣٢٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٨٠)، قال ابن كثير في تفسيره (٤/٥٩٧): "إسناده جيد متصل حسن"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٩٦) رقم (١١١١٩): "رواه أحمد والطبراني وشهر وثّقه أحمد وجماعة وفيه ضعف لا يضر، وبقية رجاله ثقات"، وممن ضعفه الألباني في كتاب صحيح وضعيف الأدب المفرد، باب البغي (٢/٦٣) رقم (٨٩٣)، حيث قال رحمه الله: "ضعيف الإسناد لضعف شهر".

(٢٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/٢١٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٩٦) رقم (١١١١٢٠)، وقال: "إسناده حسن"، وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٥٩٧): "وهذا إسناد لا بأس به".

المبحث الثاني: فضائل الآية الكريمة

جاءت آثار كريمة تدل على فضائل هذه الآية وعلو منزلتها، ومن هذه الآثار ما يلي:

١- ما أخرجه أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠)، في كتابه معرفة الصحابة، قال: بلغ أكثم بن صيفي مخرج النبي ﷺ، فأراد أن يأتيه، فأبى قومه أن يدعوه، وقالوا: أنت كبيرنا لم تكن لتخف إليه[٢٣]، فليأتِ من يبلغه عني، ويبلغني عنه، فانتدب رجلان، فأتيا النبي ﷺ، فقالوا: نحن رسل أكثم بن صيفي، وهو يسألك من أنت ؟ وما جئت به؟ قال النبي ﷺ: أما أنا فأنا محمد بن عبدالله، وأما ما أنا فأنا عبدالله ورسوله، قال: ثم تلا عليهم هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، قالوا: أرددها علينا هذا القول، فردده عليهم حتى حفظوه، فأتيا أكثم، فقالا: أبى أن يرفع نسبه، فسألنا عن نسبه فوجدناه زاكي النسب، واسطاً في مضر، وقد رمى إلينا بكلمات قد حفظناهن، فلما سمعهن أكثم، قال: أي قوم أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذناباً، وكونوا فيه أولاً، ولا تكونوا فيه آخراً، فلم يلبث أن حضرته الوفاة..."[٢٤].

---

(٢٣) قوله: "لتخف إليه": قال ابن منظور في "لسان العرب": "يقال: خف فلان لفلان إذا أطاعه، وانقاد له". [انظر: لسان العرب، مادة "خفف" (٩٧/٩)]، وعلى هذا المعنى: لم تكن لتخف إليه، أي: لم تكن لتطيعه وتنقاد إليه"، والله أعلم.

(٢٤) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٤١٩/٢) رقم (١٠٤٣)، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص٧٧)، قال ابن حجر: "وهو مرسل"، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣٥١/١).

٢- ما أخرجه البيهقي (ت ٤٥٨)' في دلائل النبوة "أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقال له: اقرأ علي، فقرأ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، قال: أعد، فأعاد النبي ﷺ، فقال: والله إن له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة[٢٥]، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق[٢٦]، وما يقول هذا بشر"[٢٧].

٣- ما أخرجه البيهقي (ت ٤٥٨) أيضاً في دلائل النبوة "أن مفروق بن عمرو جاء إلى النبي ﷺ فقال: إلام تدعونا يا أخا قريش، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، فقال: مفروق بن عمرو: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفِكَ[٢٨] قوم كذبوك، وظاهروا عليك"[٢٩].

---

(٢٥) المراد به: أي رونقاً وحسناً. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ص١٢٢)].

(٢٦) المغدق: المروي، وماء غدق، أي كثير عذب. [انظر: غريب الحديث للخطابي (٤٤١/١)].

(٢٧) باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز، وأنه لا يشبه شيئاً من لغ اتهم، م ع كونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان (١٩٩/٢)، وقال عنه البيهقي: "روي موصولاً ومرسلاً وكل ذلك يؤكد بعضه بعضاً" بتصرف، وقال محقق شعب الإيمان للبيهقي د/عبد العلي عبدالحميد حامد: "إس ناده صحيح رجاله ثقات" (٨٧/١).

(٢٨) الإفك في الأصل الكذب، ومعنى الأثر، أي: صرفوا عن الحق، ومنعوا منه، يقال: أفكه يأفكه أفْكاً: إذا صرفه عن الشيء وقلَبه. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٦٧/١)، وانظ ر: غريب الحديث للخطابي (٦٨٠/١)].

(٢٩) باب حديث أبان بن عبدالله البجلي في عرض رسول الله ﷺ نفسه على قبائل العرب وقصة مفروق ب ن عمرو وأصحابه (٤٢٥/٢)، وقد تكلم البيهقي عن إسناده، قال: "إن فيه راوياً مجهول، وهو محمد ب ن زكريا الغلابي"، ثم قال: "ويروى أيضاً بإسناد آخر مجهول". [انظر: دلائل النبوة بتحقيق د/عب دالمعطي قلعجي (٤٢٧/٢)].

٤- ما أخرجه البيهقي (ت ٤٥٨) في كتابه "الجامع لشعب الإيمان"، وفيه: "أن جويرية بن بشير الهجمي قال: سمعت الحسن قرأ يوماً هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، ثم وقف، فقال: إن الله عزّ وجل جمع لكم الخير كله، والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك "العدل والإحسان" من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك "الفحشاء والمنكر" من معصية الله شيئاً إلا جمعه"[٣٠].

٤- ما روي عن قتادة (ت ١١٧)، أنه قال: "قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به، ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خلق سيء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه، وقدم فيه، وإنما نهي عن سفاسف الأخلاق ومذامها"[٣١].

قلت [٣٢]: ولهذا جاء في الحديث: " إن الله يحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها"[٣٣،٣٤].

---

(٣٠) انظر: باب في الإيمان برسل الله صلوات الله عليهم (٢٩٥/١) رقم (١٣٨)، وقال محقق الكتاب الدكتور/ عبد العلي عبدالحميد حامد: "إسناده حسن"، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٤١/٥)، وقال د/عبدالحميد حامد معلقاً على هذا الإسناد: "ورجال إسناده ثقات".

(٣١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠٠/٨)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٥٩٦/٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١٤١/٥).

(٣٢) القائل ابن كثير في تفسيره (٥٩٦/٤).

(٣٣) سفاسفها: أي الأمر الحقير والرديء من كل شيء، وهو ضد المعالي والمكارم، وأصله ما يطير من غبار الدقيق إذا نُخِل، والتراب إذا أثير. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٧٨٢/١)].

(٣٤) الحديث: أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، باب حسن الخلق (١٤٣/١١) رقم (٢٠١٥٠)، والحاكم في المستدرك، باب إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق ويبغض سفاسفها (٢١٦/١) رقم (١٥٧،

٥- ما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ: "أنه مرّ على قوم يتحدّثون، فقال: فيم أنتم؟! فقالوا: نتذاكر المروءة، فقال: أو ما كفاكم الله عزّ وجل ذاك في كتابه؟! إذ يقول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية، فالعدل: الإنصاف، والإحسان: التفضل، فما بقي بعد هذا؟"(٣٥).

٦- قال قتادة (ت ١١٧): "جمع الله تعالى كل ما يحب، وكل ما يكره في هذه الآية"(٣٦).

٧- قال مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠): "لما نزلت هذه الآية بمكة قال أبو طالب بن عبد المطلب: يا آل غالب اتبعوا محمداً ﷺ، تفلحوا، وترشدوا، والله إن ابن أخي ليأمر بمكارم الأخلاق، وبالأمر الحسن، ولا يأمر إلا بحسن الأخلاق، والله لئن كان محمدٌ ﷺ صادقاً أو كاذباً ما يدعوكم إلاّ إلى الخير، فبلغ ذلك الوليد بن المغيرة، فقال: إن كان محمد قاله فنعم ما قاله، وإن كان إلهه قاله فنعم ما قاله..."(٣٧).

٨- مما يستأنس به هنا ما ترجم به الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) في صحيحه، حيث قال: "باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية [النحل: ٩٠]، وقوله: ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾[يونس: ٢٣]، وقوله: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٦٠]، وترك إثارة الشر على مسلم أو كافر، حدثنا الحميدي... عن عائشة رضي الله عنها قالت: مكث النبي ﷺ كذا وكذا

=١٥٨)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسنادين جميعاً، ولم يخرجاه"، وأخرجه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (٣٧٢/١٠) رقم (٧٦٤٦٢)، (٧٦٤٧)، وأيضاً في السنن الكبرى في كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها (٣٢٢/١٠) رقم (٢٠٧٨٠، ٢٠٧٨١).

(٣٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٤١/٥).

(٣٦) انظر: تفسير السمعاني (١٩٦/٣).

(٣٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، دراسة وتحقيق د/عبدالله محمود شحاته (٤٨٣/٢).

يخيل إليه أنه يأتي أهله، ولا يأتي، قالت عائشة: فقال لي ذات يوم: يا عائشة إن الله تعالى أفتاني في أمر استفتيته فيه: أتاني رجلان فجلس أحدهما عند رجلي، والآخر عند رأسي، فقال الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما بال الرجل ؟ قال: مطبوب – يعني مسحوراً – قال: ومَنْ طبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم، قال: وفيمَ؟ قال: في جُفٍّ طَلْعةٍ ذكرٍ(٣٨)، في مشطٍ ومُشاطةٍ(٣٩)، تحت رَعُوفةٍ في بئر ذَرْوان(٤٠)، فجاء النبي ﷺ فقال: هذه البئر التي أُريتُها، كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، وكأن ماءَها نُقاعَةُ الحناء(٤١)، فأمر به النبي ﷺ فأُخرج، فقلت: يا رسول الله فهلاّ – تعني تنشّرتَ (٤٢)–؟ فقال النبي ﷺ: أما الله فقد شفاني، وأما أنا فأكره أن أثير على الناس شراً، قالت: ولبيد بن أعصم رجل من بني زُرَيْقٍ حليفٌ ليهود"(٤٣).

---

(٣٨) الجف: وعاء الطلع إذا جف، وهو: الغشاء الذي يكون فوقه، ومن جب البئر وهو جرابها، الراعوفة: صخرة تترك ناتئة في أسفل البئر، فإذا نقّوها جلس عليها المنقّي، وقيل: تكون في بعض البئر لا يمكن قطعها فتترك، وهي من رعف إذا تقدم. [انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (١/١٩١)، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٢٧٢)].

(٣٩) مشط ومشاطة: هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التشريع بالمشط. [انظر: النهاية لابن الأثير (٢/٦٦١)، وكتاب: المجرّد للغة الحديث لابن اللباد (ص٣٥٢)].

(٤٠) بئر ذَرْوان: بفتح الذال وسكون الراء، وهي بئر لبني زريق بالمدينة، وهو على ساعة من المدينة. [انظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر (١/٨٩)، والنهاية لابن الأثير (١/٦٠٤)].

(٤١) نُقَاعة الحناء: بضم النون وتخفيف القاف والحناء معروف، وهو بالمد أي أن لون ماء البئر لون الماء الذي ينقع فيه الحناء، قال ابن التين: يعني أحمر، وقال الداودي: المراد الماء الذي يكون من غسالة الإناء الذي تعجن فيه الحناء. [انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/٢٨٣)].

(٤٢) ومعنى تنشرت تفسرها الرواية الأخرى: وهي "أفأخرجته"، أخرجها البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب السحر، حديث (٥٧٦٦) (ص١٠١٨).

(٤٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ ... إلخ حديث (٦٠٦٣) (ص١٠٥٨).

قال ابن بطال: فتأول البخاري من هذه الآيات التي ذكرها ترك إثارة الشر على مسلم أو كافر، كما دل عليه حديث عائشة، حيث قال عليه الصلاة والسلام: "أما الله فقد شفاني، وأما أنا فأكره أن أثير على الناس شراً"، ووجه ذلك - والله أعلم - أنه تأوّل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾، الندب بالإحسان إلى المسيء، وترك معاقبته على إساءته(٤٤).

المبحث الثالث: المناسبات في الآية

المطلب الأول: مناسبة سورة النحل لما قبلها

ذكر العلماء في مناسبة سورة النحل لما قبلها من السور وخاصة وضعها بعد سورة الحجر ما يلي:

قال السيوطي (ت ٩١١): "أقول: وجه وضعها بعد سورة الحجر: أن آخرها شديد الالتئام بأول هذه، فإن في آخر تلك: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، الذي هو مفسر بالموت ظاهر المناسبة، لقوله هنا: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، وانظر كيف جاء في المقدمة بيأتيك اليقين، وفي المتأخرة بلفظ الماضي، لأن المستقبل سابق على الماضي، كما تقرّر في المعقول والعربية(٤٥).

وظهر لي أن هذه السورة شديدة الاعتلاق بسورة إبراهيم، وإنّما تأخرت عنها لمناسبة الحجر في كونها من ذوات [آلر]، وذلك أن سورة إبراهيم وقع فيها ذكر فتنة

---

(٤٤) انظر: شرحه على صحيح البخاري (٢٥٧/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤١٥/١٢).

(٤٥) مراد المؤلف أن المضارع سابق على الماضي في الكلام والإخبار، لا في الزمان فقولك الآن يقوم الناس لرب العالمين يوم القيامة سابق في الخبر، ولا يجوز أن يقال: قام الناس لرب العالمين يوم القيامة إلا بعد تمام ذلك البعث. [انظر: تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا (ص٩٧) حاشية (٢)].

الميت، ومن هو ميت وغيره[٤٦]، وذلك أيضاً في هذه بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النحل: ٢٨]الآيات، فذكر الفتنة وما يحصل عندها من الثبات والإضلال، وذكر هنا ما يحصل عقب ذلك من النعيم والعذاب.

ووقع في سورة إبراهيم ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [آية: ٤٦]، ووقع هنا في قوله: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النحل: ٢٦].

ووقع في سورة إبراهيم ذكر النعم، وقال عقبها: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ٣٤]، ووقع هنا ذكر ذلك معقباً بمثل ذلك[٤٧].[٤٨]

وقال أبو الحسن البقاعي (ت ٨٨٥): "لما ختم الحجر بالإشارة إلى إتيان اليقين، وهو صالح لموت الكل، ولكشف الغطاء بإتيان ما يوعدون مما يستعجلون به استهزاء من العذاب في الآخرة بعد ما يلقونه في الدنيا، ابتدأ هذه بمثل ذلك سواء. غير أنه ختم تلك باسم الرب المفهم للإحسان لطفاً بالمخاطب، وافتتح هذه باسم الله الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء؛ لأن ذلك أليق بمقام التهديد، ولما ستعرفه من المعاني المتنوعة في أثناء السورة، ولما كان الجزم بالأمور المستقبلية لا يليق إلا عند نفوذ الأمر، ولا نفوذ إلا لمن لا كفؤ له، وكانت العجلة وهي الإتيان بالشيء قبل حينه الأولى به –

---

(٤٦) وذلك في قوله: ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾. [آية: ١٧٠]. [انظر: المصدر السابق (ص٩٨) حاشية (١)]

(٤٧) وهو قوله: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨].

(٤٨) انظر: تناسق الدرر في تناسق السور (ص٩٨).

نقصا ظاهراً لا يحمل عليها إلا ضيق الفطن وكان التأخر لا يكون عن منازع مشارك، نزه نفسه سبحانه تنزيهاً مطلقاً جامعاً، يقول تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١]، وساقه في غير قراءة حمزة والكسائي في أسلوب الغيبة إظهاراً للإعراض الدال على شدة الغضب، وهي ناظرة إلى قوله في آخر التي قبلها: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الحجر: ٩٦]، وقد آل الأمر في نظم الآية إلى أن صار كأنه قيل: إنه لا يعجل لأنه منزه عن النقص، ولا بد من نقاذ أمره لأنه متعال عن الكفء، أو يقال: لا تستعجلوه لأنه تنزه عن النقص فلا يعجل، وتعالى عن أن يكون له كفؤ يدفع ما يريد فلا بد من وقوعه، فهي واقعة موقع التعليل لصدر الآية كما أن صدر الآية تعليل لآخر سورة الحجر"[٤٩].

المطلب الثاني: مناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، لما قبلها من الآيات

قال الرازي (ت ٦٠٦) مبيناً مناسبة الآية لما قبلها: "واعلم أنه تعالى لما استقصى في شرح الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب أتبعه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الآية، فجمع في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضاً ونفلاً، وما يتصل بالأخلاق والآداب عموماً وخصوصاً"[٥٠].

وكذلك قال ابن عادل الحنبلي (ت ٨٨٠)[٥١].

---

(٤٩) انظر: تناسق الدرر في تناسق الآيات والسور (٢٤٤/٤) بتصرف، روح المعاني (٤٤٥/١٤).

(٥٠) انظر: مفاتيح الغيب (٢٥٨/٧).

(٥١) انظر: اللباب (١٤١/١٢).

وقال الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣): "لما جاء أن هذا القرآن تبيان لكل شيء وهدىً ورحمةٌ وبشرى للمسلمين حسن التخلص إلى تبيان أصول الهدى في التشريع للدين الإسلامي العائدة إلى الأمر والنهي، إذ الشريعة كلها أمر ونهي، والتقوى منحصرة في الامتثال والاجتناب، فهذه الآية استئناف لبيان كون الكتاب تبياناً لكل شيء، فهي جامعة أصول التشريع "(٥٢).

المطلب الثالث: تناسب كلمات الآية مع بعضها

احتوت الآية الكريمة على حسن النسق وعطف الجمل بعضها على بعض، وجمع فيها بين الطباق اللفظي والمعنوي والحسن والقبيح، وضروب من الأوامر والنواهي.

يقول ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١) في ذلك: "أمر الله في أول هذه الآية بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهى في وسطها عن الفحشاء والمنكر والبغي، ووعظ في آخرها وذكّر، فجمع في هذه ضروباً من البيان وأنواعاً من الإحسان، فذكر العدل والإحسان، والفحشاء والمنكر بالألف واللام التي هي للاستغراق، أي استغراق الجنس المحتوي على جميع أنواعه وضروبه، وجمع فيها بين الطباق اللفظي والطباق المعنوي، أما اللفظي ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ ﴿٨٨﴾.. وَيَنۡهَىٰ﴾، وأما المعنوي: ففي قوله: ﴿بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، وقوله: ﴿ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ﴾، فإن الثلاثة الأواخر أضداد الثلاثة الأول؛ لأن الثلاثة الأول من الفعل الحسن، والثلاثة الأواخر من القبيح، فطابق بين الحسن والقبيح مطابقة معنوية، ثم بين خصوصية ذوي القربى بإعادة الإيصاء عليهم، والإيتاء لهم، مع أن

---

(٥٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٠٤/١٣)، وانظر: فتح القدير (٢٢٤/٣).

الأمر بالإحسان قد تناولهم، وبدأ بالعدل لأنه فرض، وتلاه بالإحسان لأنه مندوب إليه، وقد يجب، فاحتوت الآية على حسن النسق، وعطف الجمل بعضها على بعض، فقدم العدل، وعطف عليه بالإحسان الذي هو جنس عام، وخص منه نوعاً خاصاً، وهو إيتاء ذي القربى، ثم أتى بالأمر مقدماً وعطف عليه النهي بالواو، ثم رتّب جمل المنهيات كما رتب جمل المأمورات في العطف، بحيث لم يتأخر في الكلام ما يجب تقديمه، ولم يتقدّم عليه ما يجب تأخيره، ثم ختم ذلك كله بأمور مستحسنة، ودعا إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فاحتوت الآية على ضروب من المحاسن والقضايا، وأشتات من الأوامر والنواهي والمواعظ والوصايا ما لو بُثّ في أسفار عديدة لما أسفرت عن وجوه معانيها، ولا احتوت على أصولها ومعانيها، سبحانه من لا يشبه خلقه ذاتاً ولا كلاماً ولا إحكاماً ولا أحكاماً"[٥٣].

المبحث الرابع: تفسير الآية الكريمة

قوله: "الله" هو الاسم الأعظم الذي اختص به الحق سبحانه وتعالى، فهو علم على الذات الإلهية المقدّسة، التي نؤمن بها، ونعمل ابتغاء مرضاتها، ونعرف أن منها حياتنا وإليها مصيرنا.

والله علم على ذات الحق الجامع لكل صفات الكمال والجلال والجمال، وهو أشهر الأسماء وأعلاها محلاً في الذكر والدعاء.

وقد تفرد الحق سبحانه وتعالى بهذا الاسم واختص به نفسه، وجعله أول أسمائه وأضافها كلها إليه، ولم يضفه إلى اسم منها[٥٤].

---

(٥٣) انظر: الفوائد المشوق (٦٨-٦٩).

(٥٤) انظر: المنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، د/زين محمد شحاته (ص٧١).

فهو الاسم العلم المتضمن لجميع معاني الأسماء الحسنى، وهو (الله)، ولهذا تأتي الأسماء الحسنى جميعها صفات له، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الآية [الحشر: ٢٤]، وهذا لا ينافي قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ ﴾ [الآيتين: ١- ٢]، لأن لهذه الآية عند المفسرين توجيهين"(٥٥).

قال ابن تيمية (ت ٧٢٨): " "الله" هو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة، ولهذا يُقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله، ويتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه وما خلق له وما فيه صلاحه وكماله، وهو عبادة الله"(٥٦).

وقال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): "(الله): علم على الذات تبارك وتعالى: يقال: إنه الاسم الأعظم(٥٧)، لأنه يوصف بجميع الصفات، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(٥٥) انظر: أسماء الله الحسنى، د/عبدالله بن صالح الغصن (ص٨٢)، والوجهان اللذان ذكرهما العلماء هما:
١- قراءة عامة، قراءة المدينة والشام على رفع اسم "الله" على الابتداء، وتصير "الذي له ما في السموات" خبره.
٢- على قراءة الخفض، والمعنى "بإذن ربهم إلى صراط الله العزيز الحميد الذي له ما في السموات"، فهو من المؤخر الذي معناه التقديم، فقدم النعت على المنعوت، كقولك: مررت بالظريف زيد.
وللاستزادة انظر: السبعة لابن مجاهد (ص٣٦٢)، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٢٥/٢).

(٥٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/١٤).

(٥٧) وسيأتي الكلام حول هذا بإذن الله تعالى في الفوائد.

﴿ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤]، فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة"(٥٨)، وجاء تعدادها في رواية الترمذي(٥٩)، وابن ماجة(٦٠)، وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى"(٦١).

وقال العثيمين (ت ١٤٢١هـ): "والله اسم ربنا عزّ وجل، لا يسمى به غيره؛ ومعناه: المألوه، أي المعبود حباً وتعظيماً"(٦٢).

واختلف العلماء في لفظ الجلالة "الله" هل هو مشتق أو مرتجل غير مشتق؟.

القول الأول: ذهب كثير من أهل العلم إلى أنه مشتق(٦٣).

واستدل من قال بهذا القول بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ [الأنعام: ٣]، أي: المعبود في السموات والأرض.

---

(٥٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً، حديث (٧٣٩٢) (ص١٢٧٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى، وفضل من أحصاها حديث (٢٦٧٧) (ص١١٦٦).

(٥٩) في كتاب الدعوات، باب حديث في أسماء الله الحسنى مع ذكرها تماماً، حديث (٣٥٠٧) (ص٧٩٩).

(٦٠) في كتاب الدعاء، باب أسماء الله عزّ وجل، حديث (٣٨٦١) (ص٥٥٢)، وقال الألباني: ضعيف، [انظر: ضعيف سنن ابن ماجه (ص٣١٤).

(٦١) انظر: تفسيره (١/١٢٢).

(٦٢) انظر: تفسيره (١/٩).

(٦٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١/٨٩)، والقرطبي (١/١٣٩).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤][٦٤].

وقد اختلف القائلون باشتقاقه اختلافاً كثيراً:

أ) منهم من قال: إنه مشتق من "لاه، يليه"، أي: ارتفع، وكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع "لاهاً"، ومنه قيل للشمس إذا طلعت: لاهت، ومنه قول الشاعر:

إلا يا سنا برقٍ على قُلَلِ الحِمَى لَهِنَّكَ عن بَرْقٍ عليَّ كريمُ[٦٥]

فإن الأصلَ: "لله إنّك كريمٌ عليَّ".

ب) ومنهم من قال: هو مشتق من "لاهَ، يَلُوه، لياهاً"، أي: احتجبَ فالألف على هذين القولين أصلية، فحينئذ أصل الكلام "لاه".

ج) ومنهم من جعله مشتقاً من "أَلَهَ"، وهو لفظ مشترك بين معانٍ وهي: العبادة والسكون والتَحيُّرُ والفزع، قال الشاعر:

أَلِهْتَ إِلَيْنا والحوادث جَمَّةٌ .....[٦٦]

أي سكنت، وقال غيره:

أَلِهتُ إليهَا والرَّكائِبُ وُقَّفٌ .....[٦٧]

أي فزعت إليها، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

للهِ دَرُّ الغانِياتِ المُدَّهِ سَبَّحنَ واسترْجَعْنَ مِنْ تأَلُّهِ[٦٨]

---

(٦٤) انظر: تفسير ابن كثير (١/١٢٣).

(٦٥) يروى عن أبي العباس المبرد، انظر: الخصائص لابن جني (١/٣١٥)، وخزانة الأدب (١٠/٣٣٨).

(٦٦) انظر: لسان العرب (١٣/٥٨٠)، مادة "أله"، وانظر: اللباب لابن عادل (١/١٣٩).

(٦٧) انظر: المصدرين السابقين.

(٦٨) انظر: ديوانه (ص١٦٥) يصف فيه نفسه، وفيه "من تألهي" بالياء.

أي من عبادةٍ، ومن قوله تعالى: ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، على هذه القراءة، أي عبادتك.

د) ومنهم من قال: إنه مشتق من "وَلِهَ"، لكون كل مخلوق والهاً نحوَه، ولهذا قال بعض الحكماء: الله محبوب للأشياء كلها، وعلى هذا دل قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤] (٦٩).

ورجح هذا القول كل من الزمخشري (ت ٥٣٨)(٧٠)، وابن عطية (ت ٥٤١)(٧١)، وابن قيم الجوزية (ت ٧٥١) (٧٢)، وأبي السعود (ت ٩٨٢) (٧٣)، والطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣) (٧٤).

وقال أبو السعود (ت ٩٨٢): "وأما الله بحذف الهمزة فعَلَمٌ مختصٌ بالمعبود الحق، لم يطلق على غيره أصلاً، واشتقاقه من الإلهة والألوهة، والألوهية، بمعنى العبادة...إلخ"(٧٥).

القول الثاني: ذهبت فرقة من أهل العلم (٧٦)، منهم: الخليل (ت ١٧٠)، وسيبويه (ت ١٨٠) (٧٧)، والزجاج (ت ٣١١) (٧٨)، وابن حزم (ت ٤٥٦) (٧٩)، وابن

---

(٦٩) انظر: تفسير البغوي (٢/١)، الزمخشري (١٠٧/١)، القرطبي (١٣٩/١)، أبي السعود (١٧/١).

(٧٠) انظر: تفسيره (١٠٨/١).

(٧١) انظر: تفسيره (٨٩/١).

(٧٢) انظر: بدائع الفوائد (٣٩/١).

(٧٣) انظر: تفسيره (١٧/١).

(٧٤) انظر: التحرير والتنوير (١٦٠/١).

(٧٥) انظر: تفسيره (١٧/١).

(٧٦) انظر: تفسير ابن عطية (٨٩/١).

(٧٧) نقله عنهما كل من القرطبي (١٣٩/١)، وابن كثير (١٢٣/١)، وابن عادل الحنبلي (١٣٨/١).

(٧٨) انظر: كتابه تفسير أسماء الله الحسنى (ص٢٥).

العربي (ت ٥٤٣)[٨٠]، والسهيلي (ت ٥٨١)[٨١]، إلى أنه اسم مرتجل لا اشتقاق له من فِعْل، وإنما هو اسم موضوع له تبارك وتعالى[٨٢].

وهو اختيار أكثر الأصوليين والفقهاء[٨٣].

قال الزجاج (ت ٣١١): "واختلفوا في: هل هو مشتق، أم غير مشتق؟ فذهب طائفة إلى أنه مشتق، وذهب جماعة ممن يوثق بعلمه إلى أنه غير مشتق، وعلى هذا القول المعوّل، ولا تعرج على قول من ذهب إلى أنه مشتق"[٨٤].

وقال ابن حزم (ت ٤٥٦): "إننا لا نفهم من قولنا: قدير وعالم – إذا أردنا بذلك الله تعالى – إلا ما نفهم من قولنا: "الله" فقط، لأن كل ذلك أسماء أعلام، لا مشتقة من صفة أصلاً"[٨٥].

واستدل من قال بذلك بما يلي:

١- قالوا: إن الله سبق الأشياء التي زعموا أنه مشتق منها.

قال السهيلي (ت ٥٨١): "ولا نقول: إن اللفظ قديم، ولكنه متقدم على كل لفظ وعبارة، ويشهد بصحة ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فهذا نص في عدم المسمى، وتنبيه على عدم المادة المأخوذ منها الاسم"[٨٦].

=(٧٩) انظر: الفصل في الملل والنحل (٢/٢٩٦)، وأسماء الله الحسنى د/عبدالله بن صالح الغصن (ص١٤٤).

(٨٠) ذكره عنه ابن القيم في بدائع الفوائد (١/٣٩).

(٨١) انظر: نتائج الفكر (ص٥١)، وأسماء الله الحسنى د/عبدالله الغصن (ص١٤٥).

(٨٢) انظر: تفسير ابن عطية (١/٨٩).

(٨٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/١٢٤).

(٨٤) انظر: كتابه تفسير أسماء الله الحسنى (ص٢٥).

(٨٥) انظر: الفصل في الملل والنحل (٢/٢٩٦)، وأسماء الله الحسنى، د/عبدالله الغصن (ص١٤٤).

(٨٦) انظر: نتائج الفكر في النحو (ص٥١-٥٢)، وأسماء الله الحسنى، د/عبدالله الغصن (ص١٤٥).

٢- وقالوا: لو كان مشتقاً لاشترك في معناه كثيرون.

٣- قالوا – أيضاً –: إن بقية الأسماء تذكر صفات له، فتقول: الله الرحمن الرحيم الملك القدوس، فدل على أنه ليس بمشتق [٨٧].

وممن رجّح هذا القول ابن عادل الحنبلي (ت ٨٨٠) في كتابه "اللباب في علوم الكتاب"، حيث يقول: "واختلف الناس: هل هو مرتجل أو مشتق؟ والصواب الأول، وهو أعرف المعارف"[٨٨].

الترجيح

الراجح - والله تعالى أعلم - قول من قال إنّه مشتق من "أله" إذا عبد، فهو مصدر في موضع المفعول، من أله الرجل يأله إلهة، إذا تعبّد وتأله وتنسّك، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ [الأنعام: ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: ٦٠، ٦٤][٨٩].

قال ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١) في كتابه البديع "بدائع الفوائد"[٩٠] في معرض ردِّه على الذين يقولون بعدم الاشتقاق: "... وإنما أرادوا: أنه دال على صفة له – تعالى – وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير، والغفور والرحيم، والسميع والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة،

---

(٨٧) انظر: تفسير ابن كثير (١/١٢٤).

(٨٨) انظر: (١/١٣٧-١٣٨).

(٨٩) انظر: اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب أ.د/سليمان بن إبراهيم اللاحم (ص٩١).

(٩٠) انظر: (١/٣٩).

والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء، فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه "الله" ".

وبهذا يتبين أن اسم الله سبحانه وتعالى مشتق غير مرتجل، والله تعالى أعلم(٩١).

قوله: "يأمر": الأمر من الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين: أمر كوني قدري، وأمر شرعي ديني.

ومثال الأمر الكوني القدري في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل: ١]، وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠]، وقوله: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ [يونس: ٢٤].

ومثال الأمر الشرعي الديني في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧](٩٢).

---

(٩١) للاستزادة انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٢٥)، والبغوي (٢/١)، والزمخشري (١٠٧/١)، وتفسير ابن عطية (٨٩/١)، والقرطبي (١٣٩/١)، وابن كثير (١٢٣/١)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١٣٩/١)، وابن عادل الحنبلي (١٣٧/١)، وأبي السعود (١٧/١)، وأسماء الله الحسنى أ.د/عبدالله الغصن (ص١٤٤).

(٩٢) انظر الأمثلة في كل من: مجموع الفتاوى (٤١١/٢)، (٢٤/١٠) (٢٦٧/١١)، ومعارج القبول (٢٣٠/١)، وأضواء البيان (٥٧٥/٣)، (٥٠٨/٤)، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٥٣٨/٢).

وقد اجتمع الأمر القدري الكوني والأمر الشرعي الديني في آيات القرآن الكريم، منها ما يلي: قال تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم: ٦٤]، فيدخل فيه الأمر الكوني القدري الذي سبق كل ما هو كائن والأمر الشرعي التكليفي(٩٣).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فالأمر يشمل الأمر القدري والأمر الشرعي، فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره(٩٤).

وقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة: ٥]، فالأمر في الآية أيضاً يشمل الأمر القدري، والأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره(٩٥).

فإن قيل ما الفرق بين الأمر الكوني القدري، والأمر الشرعي التكليفي؟ قيل ما يلي: إن الأمر الكوني القدري هو مشيئته الشاملة، وقدرته النافذة، وليس لأحد خروج منها، ولا محيد عنها، ولا ملازمة بينهما وبين المحبة والرضا، بل يدخل فيها الكفر والإيمان، والسيئات والطاعات، والمحبوب المرضي له والمكروه المبغض، كل ذلك بمشيئته وقدره وخلقه وتكوينه، ولا سبيل إلى مخالفتها، ولا يخرج عنها مثقال ذرة، وأما الأمر الشرعي الديني فهو المستلزم لمحبة الله تعالى ورضاه، فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه، ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه، ولا ملازمة بين هذا القسم وما قبله إلا في حق المؤمن المطيع، وأما الكافر فينفرد في حقّه الأمر الكوني القدري(٩٦).

---

(٩٣) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٥٣٨/٢).

(٩٤) انظر: تفسير السعدي (ص١٥٣).

(٩٥) انظر: تفسير السعدي (ص٦٥٤).

(٩٦) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للشيخ حافظ الحكمي (٢٣٠/١).

قوله: "**بالعدل**": العدل ما قام في النفوس أنه مستقيم، ويطلق العدل في اللغة ويُراد به معان، منها: الحكم بالحق وهو ضد الجور، والعدل: المرضي من الناس قوله وحكمه(٩٧).

قال ابن فارس (ت ٣٩٥): " "عدل" العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج، فالأول: العَدْل من الناس: المرضي المستوي الطريقة، يقال: هذا عَدْلٌ، وهما عدلٌ، قال زهير(٩٨):

متى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ يَقُلْ سَرَوَاتُهُم هُمُ بَيْنَنَا فهمْ رضاً وَهُمُ عدلُ

وتقول: هما عَدْلان أيضاً، وهم عدول، وإن فلاناً لعدلٌ بيِّن العَدْل والعَدُولة، والعَدْل: الحكم بالاستواء، ويقال للشيء يساوي الشيء: هو عدله، وعدلت بفلان فلاناً وهو يعادله، .... والعدل: نقيض الجوْر، تقول: عدل في رعيته، ويوم معتدل: إذا تساوى حالا حره وبرده، وكذلك في الشيء المأكول، ويقال: عدلته حتى اعتدل، أي أقمته حتى استقام واستوى، ومن الباب: المعتدلة من النُّوق، وهي الحسنة المتفقة الأعضاء"(٩٩).

---

(٩٧) انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٣٨/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢٣/١)، والمحيط في الفقه للصاحب بن عباد (٤٢٢/١)، مادة "عدل".

(٩٨) انظر: ديوانه في مدح سنان بن أبي حارثة المري (ص٦١)، والمعنى: يشتجر: يختلف، السروات: جمع سراة، والواحد سري: السيد الشريف أي إذا اختلف قوم بأمر رضوا بحكم هؤلاء لعدلهم وصحة حكمهم. انظر: حاشية رقم (١) (ص٦١) من ديوانه.

(٩٩) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢٤٦/٤)، مادة "عدل".

وقال الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥): "والعدل ضربان: مطلق: يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخا، ولا يوصف بالاعتداء بوجه، نحو: الإحسان إلى من أحسن إليك، وكف الأذية عمن كف أذاه عنك.

وعدل يعرف كونه عدلا بالشرع، ويمكن أن يكون منسوخا في بعض الأزمنة، كالقصاص وأروش الجنايات[١٠٠]، وأصل مال المرتد. ولذلك قال: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، فسمي اعتداء وسيئة، وهذا النحو هو المعني بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، فإن العدل هو المساواة في المكافأة، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه"[١٠١].

وقال ابن منظور (ت ٧١١): "العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، والعدل هو الذي لا يميل به الهوى، فيجور في الحكم وهو في الأصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل، وهو أبلغ منه لأنه جُعِلَ المسمّى نفسه عدلاً، والعدل: الحكمُ بالحق، يقال: هو يقضي بالحق، ويعدل، وهو حكمٌ عادل ذو مَعْدَلة في حكمه، والعدْل من الناس: المرضي قوله وحكمه"[١٠٢].

---

(١٠٠) الأروش: جمع أرش، وهو: المال الواجب في الجناية على ما دون النفس، وقد يطلق على بدل النفس، وهو الدية. [انظر: الموسوعة الفقهية (٣/١٠٤)].

(١٠١) انظر: المفردات (ص٥٥٢).

(١٠٢) انظر: لسان العرب (١١/٥١٤)، مادة "عدل".

وقال الشنقيطي (ت ١٣٩٣): "اعلم أن العدل في اللغة: القسط والإنصاف، وعدم الجور، وأصله التوسط بين المرتبتين، أي: الإفراط والتفريط، فمن جانب الإفراط والتفريط فقد عدل"[١٠٣].

وتنوعت آراء العلماء في المراد بالعدل في الآية الكريمة على أقوال، منها:

القول الأول: أن المراد بالعدل: الإنصاف، قاله علي بن أبي طالب ﷺ (ت ٤٠)[١٠٤]، والطبري (ت ٣١٠)[١٠٥].

القول الثاني: أن المراد بالعدل: شهادة أن لا إله إلا الله، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨)[١٠٦]، وبه قال مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠)[١٠٧]، والسمرقندي (من علماء القرن الرابع الهجري)[١٠٨].

القول الثالث: أن المراد بالعدل: التوحيد، قال أبو المظفر السمعاني (ت ٤٨٩): "وهو في معنى الأول"[١٠٩].

القول الرابع: أن المراد بالعدل: القضاء بالحق، قاله ابن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٩)[١١٠].

---

(١٠٣) انظر: أضواء البيان (٤١٨/٣).

(١٠٤) انظر: تفسير القرطبي (٤١٢/١٢)، والسيوطي (١٤١/٥)، وبه قال البغوي، انظر: تفسيره (٦٣١/٢).

(١٠٥) (١٩٨/٨).

(١٠٦) رواه عنه الطبري (١٩٨/٨)، وابن أبي حاتم (٢٢٩٩/٧).

(١٠٧) انظر: تفسيره (٤٨٣/٢).

(١٠٨) انظر: تفسيره (٢٨٧/٢).

(١٠٩) انظر: تفسيره (١٩٥/٣).

(١١٠) انظر: زاد المسير (٤٨٣/٤).

القول الخامس: أن المراد بالعدل: استواء السريرة في السر والعلانية، قاله سفيان بن عيينة (ت ١٩٨)[١١١].

القول السادس: أن المراد بالعدل: الفرض، قاله مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧)[١١٢].

القول السابع: أن المراد بالعدل: التوسط، قاله الشوكاني (ت ١٢٥٠)[١١٣].

الترجيح

الراجح والله تعالى أعلم أن العدل في الآية الكريمة محتمل لجميع ما ذكر.

فالعدل الذي أمر الله سبحانه وتعالى به يشمل العدل في حقه، أي فيما بين العبد وربه، وبين العبد ونفسه، وبين العبد والناس أجمعين.

قال ابن العربي (ت ٥٤٣): "" بالعدل ": وهو مع العالم، وحقيقته التّوسّط بين طرفي النّقيض، وضدّه الجور ؛ وذلك أنّ الباري خلق العالم مختلفًا متضادًّا متقابلاً مزدوجًا، وجعل العدل في اطّراد الأمور بين ذلك على أن يكون الأمر جاريًا فيه على الوسط في كلّ معنًى، فالعدل بين العبد وربّه إيثار حقّ اللّه على حظّ نفسه، وتقديم رضاه على هواه، والاجتناب للزّواجر، والامتثال للأوامر. وأمّا العدل بينه وبين نفسه فمنعها عمّا فيه هلاكها، كما قال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]، وعزوب الأطماع عن الاتّباع، ولزوم القناعة في كلّ حالٍ، ومعنًى. وأمّا العدل بينه وبين الخلق ففي بذل النّصيحة، وترك الخيانة فيما قلّ وكثر، والإنصاف من نفسك لهم بكلّ وجهٍ، ولا يكون منك إلى أحدٍ مساءةٌ بقولٍ ولا فعلٍ، لا في سرٍّ ولا في علنٍ،

---

(١١١) ذكره مكي في الهداية (٤٠٧٢/٦)، والقرطبي (٤١٢/١٢).

(١١٢) انظر: تفسيره (٤٠٧١/٦).

(١١٣) انظر: تفسيره (٢٢٤/٣).

حتّى بالهمّ والعزم، والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى وأقل ذلك الإنصاف من نفسك وترك الأذى"[١١٤].

ووافق على هذا الكلام القرطبي (ت ٦٧١) في تفسيره، حيث قال: "وهذا التفصيل في العدل حسنٌ، وعدلٌ"[١١٥].

وقال السعدي (ت ١٣٧٦): "فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي.

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقا ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب"[١١٦].

قوله تعالى: "الإحسان" الإحسان في اللغة: مصدر أحسَنَ، يُحْسِن إحساناً، ويقال على معنيين، أحدهما: متعد بنفسه، كقولك: أحسنت كذا، أي: حسّنته، وكملته، وهو منقول بالهمزة من حَسُنَ الشيء، وكقولك: أحسن العامل عمله، أي: أجاده، وجاء به حسناً، وثانيهما: متعد بحرف جر كقولك: أحسن إلى والديك،

---

(١١٤) انظر: أحكام القرآن (١٥٣/٣).

(١١٥) انظر: تفسيره (٤١٣/١٢).

(١١٦) انظر: تفسيره (ص٤٤٧).

أو أحسنت إلى فلان، أي: أوصلت إليه ما ينتفع به، ومن قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وهو في الآية إفراد المعنيين معاً، فإنه تعالى يحب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض، حتى إن الطائر في سجنك، والسنّور في دارك لا ينبغي أن تقصر تعهده بإحسانك، وهو تعالى غنيٌ عن إحسانهم، ومنه الإحسان والنعم والفضل والمنن(١١٧).

والإحسان: ضد الإساءة(١١٨).

وأما الإحسان في الآية الكريمة فقد تعددت وتنوعت أقوال المفسّرين فيه على أقوال، منها:

القول الأول: أن المراد بالإحسان في الآية الكريمة: أداء الفرائض، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨)(١١٩)، وبه قال الطبري (ت٣١٠)(١٢٠).

القول الثاني: أن المراد بالإحسان في الآية الكريمة: العفو عن الناس، وبه قال ابن عباس (ت ٦٨)(١٢١)، ومقاتل (ت ١٥٠)(١٢٢)، والسمرقندي (من علماء القرن الرابع الهجري)(١٢٣).

القول الثالث: أن المراد به: الإخلاص، وبه قال ابن عباس (ت ٦٨)(١٢٤).

---

(١١٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤١٣/١٢)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٤١٨/٣).

(١١٨) انظر: تهذيب اللغة (١٨٣/٢)، والقاموس المحيط (٢٠٠/٤)، مادة "حسن".

(١١٩) رواه عنه الطبري في تفسيره (١٩٨/٨).

(١٢٠) انظر: تفسيره (١٩٨/٨).

(١٢١) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٤٨٣/٤).

(١٢٢) انظر: تفسيره (٤٨٣/٢).

(١٢٣) انظر: تفسيره (٢٨٧/٢).

القول الرابع: أن المراد به المشار إليه بقوله ﷺ: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[١٢٥].

وبه قال ابن عباس (ت ٦٨)[١٢٦]، والأزهري (ت ٣٧٠)[١٢٧]، وأبو السعود (ت ٩٨٢)[١٢٨]، والشوكاني (ت ١٢٥٠)[١٢٩]، والألوسي (ت ١٢٧٠)[١٣٠].

قال الشوكاني: "وقد صح عن النبي ﷺ أنّه فسّر الإحسان بأن يعبد الله العبد حتى كأنه يراه، فقال في حديث ابن عمر الثابت في الصحيحين: "والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك"[١٣١]، وهذا هو معنى الإحسان شرعاً"[١٣٢].

القول الخامس: أن المراد به أن تكون سريرته أحسن من علانيته، قاله سفيان ابن عيينة (ت ١٩٨)[١٣٣].

=(١٢٤) ذكره عنه ابن الجوزي في تفسيره (٤/٤٨٣).

(١٢٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث (٥٠) (ص١٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، حديث (٩٣) (ص٢٤).

(١٢٦) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/٤٨٣).

(١٢٧) انظر: تهذيب اللغة (٢/١٨٣).

(١٢٨) انظر: تفسيره (٤/٨٨).

(١٢٩) انظر: تفسيره (٣/٢٢٤).

(١٣٠) انظر: تفسيره (١٤/٦١٠).

(١٣١) سبق تخريجه.

(١٣٢) انظر: تفسيره (٣/٢٢٤).

(١٣٣) ذكره عنه الطبري في تفسيره (٨/١٩٩)، والماوردي (٣/٢٠٩).

القول السادس: أن المراد به الصبر على أمره ونهيه، وطاعة الله في السر والجهر[١٣٤].

القول السابع: أن المراد به التفضل بالإنعام[١٣٥].

القول الثامن: أن المراد به النافلة [١٣٦].

القول التاسع: أن المراد به الإحسان في الأقوال [١٣٧].

القول العاشر: أن المراد به: أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له[١٣٨].

الترجيح

بإمكاننا القول أن المراد بالإحسان في الآية الكريمة بما صح عنه ﷺ من تفسير الإحسان بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" الحديث، لكن السياق ونظم الآية الكريمة لا يسعفنا في ترجيح هذا القول وخاصة أن الإحسان في الآية الكريمة مقابل العدل، فإذن نقول: إن "الإحسان" لفظ عام يشمل ما أخبر به المعصوم عليه الصلاة والسلام في الحديث النبوي الشريف وغيره من المعاني التي ذكرها سلف الأمة عليهم رحمة الله.

قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣): "وأما الإحسان فهو معاملة بالحسنى ممن لا يلزمه إلى من هو أهلها. والحسَن: ما كان محبوباً عند المعامَل به ولم يكن لازماً لفاعله، وأعلاه ما كان في جانب الله تعالى مما فسّره النبي بقوله: الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ودون ذلك التقرّب إلى الله بالنوافل. ثم الإحسان في

---

(١٣٤) ذكره الماوردي (٢٠٩/٣).

(١٣٥) ذكره الماوردي (٢٠٩/٣)، والقاسمي (١٥٠/١٠).

(١٣٦) ذكره الشوكاني (٢٢٤/٣).

(١٣٧) ذكره ابن عادل الحنبلي (١٤٣/١٢).

(١٣٨) قال به الراغب الأصفهاني، انظر: المفردات (ص٢٣٦).

المعاملة فيما زاد على العدل الواجب، وهو يدخل في جميع الأقوال والأفعال ومع سائر الأصناف.

ومن أدْنى مراتب الإحسان ما في حديث الموطأ[١٣٩]: «أن امرأة بَغِيّا رأت كلباً يلهث من العطش يأكل الثّرى فنزعت خُفَّها وأدْلَتْه في بئر ونزعت فسقته فغفر الله لها»[١٤٠].

وفي الحديث " إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبْحة "[١٤١]. ومن الإحسان أن يجازي المحسَنُ إليه المحسِن على إحسانه إذ ليس الجزاء بواجب.

فإلى حقيقة الإحسان ترجع أصول وفروع آداب المعاشرة كلها في العائلة والصحبة. والعفوُ عن الحقوق الواجبة من الإحسان لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤]"[١٤٢].

---

(١٣٩) الموطأ: كتاب للإمام مالك، وذكرت السير أن تأليفه باقتراح من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وذكرت الروايات أن ذلك كان عام ١٤٨هـ.، وتم إخراجه للناس سنة ١٥٩هـ.، انظر: مقدمة الموطأ للدكتور تقي الدين الندوي (١٢/١).

(١٤٠) الحديث هكذا ذكره ابن عاشور في تفسيره (٢٠٥/١٣)، وبالرجوع إلى الموطأ لم أجده بهذا اللفظ الذي ذكره الطاهر بن عاشور، وبعد البحث تبين أن الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، حديث (٥٨٦٠) وحديث (٥٨٦١) (ص٩٩٦)، وهو: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها، فغفر لها".

(١٤١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث (٥٠٥٥) (ص٨٧٣).

(١٤٢) انظر: تفسيره (٢٠٥/١٣).

وقال السعدي (ت ١٣٧٦): "والإحسان فضيلة مستحب وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره"(١٤٣).

قوله: "وإيتاء ذي القربى": أطبقت كتب اللغة والتفسير على أن معنى الإيتاء: الإعطاء، وأن معنى "القربى": القرابة، وهو من يقرب منك رحماً، والدنو في النسب.

قال الأزهري (ت ٣٧٠): "الإيتاء الإعطاء، آتى يؤاتي إيتاء"(١٤٤).

وقال أيضاً: "القريب والقريبة ذوا القرابة والجميع من النساء قرائب، ومن الرجال أقارب، ولو قيل: قربى لجاز، قلت: الأقارب جمع الأقرب، والقربى: تأنيث الأقرب. يقال: فلان ذو قرابتي وذو قرابة مني، وذو مقربة، وذو قربى مني، وجائز أن تقول: فلان قرابتي بهذا المعنى والأول أكثر"(١٤٥).

وقال الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥): "الإيتاء: الإعطاء، آتى يؤتي إيتاءً"(١٤٦).

وقال: "والقربى: حق ذي القرابة، وهم أقارب، وللنساء: قرائب، ونسب قراب: أي قريب"(١٤٧).

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥): "أتى: الإيتاء: الإعطاء، تقول: آتى يؤتى إيتاء، وتقول: هات بمعنى آت، أي فاعل، فدخلت الهاء على الألف"(١٤٨).

---

(١٤٣) انظر: تفسيره (ص٤٤٧).

(١٤٤) انظر: تهذيب اللغة (٢٥١/٧) مادة "آتى".

(١٤٥) انظر: تهذيب اللغة (١١١/٥)، مادة "قرب".

(١٤٦) انظر: المحيط في اللغة (٤٨٧/٩) مادة "آتى".

(١٤٧) انظر: المصدر السابق (٤٠٥/٥) مادة "قرب".

(١٤٨) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥١/١) مادة "أتى".

وقال أيضاً: "قرب: القاف والراء والباء أصل صحيح يدل على خلاف البعد، يقال: قَرُبَ يَقْرُبُ قُرْباً، وفلان ذو قرابتي، وهو من يقرب منك رحماً، وفلان قريبي وذو قرابتي، والقُرْبة والقُربى: القرابة"[١٤٩].

وكذا قال ابن منظور (ت ٧١١): في كتابه الجامع لسان العرب[١٥٠].

هذا من حيث اللغة، أما من حيث المراد به في الآية الكريمة، فقد اختلف المفسرون في المراد به على أقوال، منها:

القول الأول: أن المراد بـ "إيتاء ذي القربى": إعطاء ذي القرابة، وهم الأرحام من جهة الأب والأم، وهو قول عامة المفسرين، ومروي عن ابن عباس (ت ٦٨) [١٥١]، وبه قال مقاتل (ت ١٥٠) [١٥٢]، والطبري (ت ٣١٠) [١٥٣]، ومكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧) [١٥٤]، والماوردي (ت ٤٥٠) [١٥٥]، والبغوي (ت ٥١٦) [١٥٦]، وغيرهم من العلماء الأجلاء[١٥٧].

---

(١٤٩) انظر: المصدر السابق (٥/٨٠) مادة "قرب".

(١٥٠) انظر: (١٤/١٩) و(١/٧٨٠) مادة "أتى"، و"قرب".

(١٥١) رواه عنه الطبري في تفسيره (٨/١٩٨).

(١٥٢) انظر: تفسيره (٢/٤٨٣).

(١٥٣) انظر: تفسيره (٨/١٩٨).

(١٥٤) انظر: تفسيره (٦/٤٠٨٢).

(١٥٥) انظر: تفسيره (٣/٢٠٩).

(١٥٦) انظر: تفسيره (٢/٦٣٢).

(١٥٧) انظر تفسير: السمرقندي (٢/٢٨٧)، وابن العربي (٣/١٥٥)، وابن الجوزي (٤/٤٨٣)، والقرطبي (١٢/٤١٤)، والنسفي (٢/٤٢٩)، وابن عادل (١٢/١٤٣)، أبي السعود (٤/٨٨) والشوكاني (٣/٢٢٤)، وابن عاشور (١٣/٢٠٦)، والقنوجي (٤/٧٠)، والقاسمي (١٠/١٥٠).

قال ابن كثير (ت ٧٧٤): "وقوله: "إيتاء ذي القربى" أي: يأمر بصلة الأرحام، كما قال: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٦]"[(١٥٨)].

وقال الشنقيطي (ت ١٣٩٣): "وقوله: "ذي القربى"، أي: صاحب القرابة من جهة الأب أو الأم، أو هما معاً؛ لأن إيتاء ذي القربى صدقة وصلة رحم، والإيتاء: الإعطاء"[(١٥٩)].

القول الثاني: أن المراد بـ "ذي القربى" في الآية الكريمة: جميع بني آدم.

قال أبو المظفر السمعاني (ت ٤٨٩): "وقوله: "وإيتاء ذي القربى"...، وقيل: إنه يدخل في هذا جميع بني آدم، لأن بينه وبين الكل وصلة بآدم – صلوات الله عليه – وأدنى ما يقع في الصلة ترك الأذى، وأن يحب له ما يحبه لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه"[(١٦٠)].

القول الثالث: أن المراد بـ "ذي القربى" في الآية الكريمة: ذوو الأرحام الأقارب من جهة الأم فقط[(١٦١)].

القول الرابع: أن المراد بـ "ذي القربى" في الآية الكريمة: قرابة الرسول ﷺ المرادون في قوله تعالى: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الأنفال: ٤١][(١٦٢)].

---

(١٥٨) انظر: تفسيره (٥/٥٩٥).

(١٥٩) انظر: تفسيره (٣/٤٢٠).

(١٦٠) انظر: تفسيره (٣/١٩٦).

(١٦١) ذكره الألوسي في تفسيره "روح المعاني" ولم ينسبه لأحد (١٤/٦١٠).

(١٦٢) ذكره الألوسي في تفسيره "روح المعاني" ونسبه للطبرسي (١٤/٦١٠).

الترجيح

الراجح والله أعلم قول من قال: إن المراد بـ "ذوي القربى" في الآية الكريمة جميع الأقارب، وهم الأرحام من جهة الأب والأم معاً.

قال السعدي (ت ١٣٧٦): "ويدخل في ذلك جميع الأقارب قريبهم وبعيدهم، لكن كل ما كان أقرب كان أحق بالبر"(١٦٣).

قوله: "**وينهى**": النهي هو الزجر عن الشيء، وطلب ترك المنهي عنه.

قال الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥): "النهي: الزجر عن الشيء. قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٩ - ١٠] وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن يكون بالقول أو بغيره، .... وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ [النحل: ٩٠] أي: يحث على فعل الخير ويزجر عن الشر، وذلك بعضه بالعقل الذي ركبه فينا، وبعضه بالشرع الذي شرعه لنا، والانتهاء: الانزجار عما نهى عنه"(١٦٤).

وقال السمين الحلبي (ت ٧٥٦): "والنهي: الزجر عن الشيء، وقيل: هو طلب ترك المنهي عنه، وقيل: طلب كف، وهي متقاربة"(١٦٥).

قوله: "**الفحشاء**": اسم للفاحشة، وكل شيء جاوز حدّه وقدره، فهو فاحش، قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٥): "فحش: الفحش معروف، والفحشاء: اسم للفاحشة، وأفحش في القول والعمل وكل أمر: لم يوافق الحق فهو فاحش"(١٦٦).

---

(١٦٣) انظر: تفسيره (ص٤٤٧).

(١٦٤) انظر: المفردات (ص٨٢٦).

(١٦٥) انظر: عمدة الحفاظ (٢٦١/٤).

(١٦٦) انظر: العين (٩٦/٣)، مادة "فحش".

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥): "فحش: الفاء والحاء والشين كلمة تدل على قبح في شيء وشناعة من ذلك الفحش والفَحْشاء والفاحشة، يقولون: كل شيء جاوز قدره فهو فاحش، ولا يكون ذلك إلا فيما ينكره، وأفحش الرجل: قال الفحش، وفحش وهو فحاش"[١٦٧].

وقال الراغب الأصفهاني: "الفحش والفحشاء والفاحشة: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال"[١٦٨].

وكذا قال غيرهم من أهل اللغة كابن دريد (ت ٣٢١) [١٦٩]، والصاحب بن عباد (ت ٣٨٥) [١٧٠]، وابن منظور (ت ٧١١) [١٧١].

وأما المراد بالفحشاء في الآية الكريمة، فقد اختلف العلماء فيها على أقوال، منها:

القول الأول: أن المراد بالفحشاء في الآية الكريمة: الزنا، وهو مروي عن ابن عباس (ت ٦٨) [١٧٢]، وبه قال الطبري (ت ٣١٠) [١٧٣]، والسمرقندي (من علماء

---

(١٦٧) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/٤٧٨)، مادة "فحش".

(١٦٨) انظر: المفردات (ص٦٢٦).

(١٦٩) انظر: جمهرة اللغة (٢/١٥٩).

(١٧٠) انظر: المحيط في اللغة (٢/٤٣٠).

(١٧١) انظر: لسان العرب (٦/٣٩١).

(١٧٢) رواه عنه الطبري في تفسيره (٨/١٩٩).

(١٧٣) انظر: تفسيره (٨/١٩٩).

القرن الرابع الهجري) [١٧٤]، والماوردي (ت ٤٥٠) [١٧٥]، وابن العربي (ت ٥٤٣) [١٧٦]، وابن الجوزي (ت ٥٩٧) [١٧٧].

القول الثاني: أن المراد بالفحشاء في الآية الكريمة: المعاصي، وبه قال مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠) [١٧٨]، وابن كثير (ت ٧٧٤) [١٧٩].

القول الثالث: أن المراد بالفحشاء في الآية الكريمة: أن تكون علانيته أحسن من سريرته، قاله سفيان بن عيينة (ت ١٩٨) [١٨٠].

القول الرابع: أن المراد به في الآية الكريمة: البخل [١٨١].

قلت: وهو بعيد في معنى الآية الكريمة، لكن له وجه من حيث اللغة، فالمعاجم العربية ذكرت هذا المعنى ضمن دلالات مفردة "فحش"، وكذا الشعر لم يخلُ من هذا المعنى، ومثال ذلك ما قاله طرفة بن العبد (ت ٦٢ ق.هـ) [١٨٢]:

أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشددِ [١٨٣]

---

(١٧٤) انظر: تفسيره (٢٨٧/٢).

(١٧٥) انظر: تفسيره (٢٠٩/٣).

(١٧٦) انظر: تفسيره (١٥٥/٣).

(١٧٧) انظر: تذكرة الأريب في تفسير الغريب (٢٩٧/١).

(١٧٨) انظر: تفسيره (٤٨٣/٢).

(١٧٩) انظر: تفسيره (٥٩٥/٥).

(١٨٠) ذكره عنه الطبري (١٩٩/٨).

(١٨١) ذكره ابن عادل في تفسيره (١٤٣/١٢)، والشوكاني في تفسيره (٢٢٤/٣)، ولم ينسباه لأحد من المفسرين.

(١٨٢) هذا البيت من معلقته المشهورة، انظر شرح القصائد العشر للتبريزي (ص١٠٨)، وشرح المعلقات السبع للزوزني (ص٩٠).

(١٨٣) معنى يعتام: يختار، يقال اعتامه واعتماه إذا اختاره، وعقيلة: عقيلة كل شيء خيرته، وأنفسه عند أهله،

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥): "فحش: .... ويقولون الفاحش البخيل، وهذا على الاتساع والبخل أقبح خصال المرء"[١٨٤].

وذكر ذلك أيضاً الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥)[١٨٥]، وابن منظور (ت٧١١)[١٨٦]، والسمين الحلبي (ت ٧٥٦)[١٨٧].

القول الخامس: أن المراد بالفاحشة في الآية الكريمة: اللواط [١٨٨].

الترجيح

الراجح والله تعالى أعلم أن معنى الفاحشة في الآية: كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر السليمة، فيدخل في ذلك كل ما حرمه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، أو على لسان رسوله ﷺ في السنة النبوية المطهرة.

قال الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣): "فأما الفحشاء: فاسم جامع لكل عمل أو قول تستفظعه النفوس لفساده من الآثام التي تفسد نفس المرء: من اعتقاد باطل أو عمل مفسد للخلق، والتي تضرّ بأفراد الناس بحيث تلقي فيهم الفساد من قتل أو سرقة أو قذف أو غصب مال، أو تضرّ بحال المجتمع وتدخل عليه الاضطراب من حرابة أو

=فهي كرائم المال والنساء، ويصطفي: يختار صفوته، والفاحش: القبيح، السيء الخلق، والمتشدد البخيل، فالمعنى إذاً على هذا: أرى الموت يختار الكرام بالإفناء، ويصطفي كريمة مال البخيل المتشدد بالإبقاء، وقيل: بل معناه أن الموت يعم الأجواد والبخلاء، فيصطفي الكرام وكرائم أموال البخلاء، يريد أنه لا تخلص منه لواحد من الصنفين، فلا يجدي البخل على صاحبه بخير، فالجود أحرى منه لأنه أحمد. [انظر: شرح القصائد العشر للتبريزي (ص١٠٨)، وشرح المعلقات السبع للزوزني (ص٩٠)].

(١٨٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/٤٧٨).

(١٨٥) انظر: المفردات (ص٦٢٦).

(١٨٦) انظر: لسان العرب (٦/٣٩٢).

(١٨٧) انظر: عمدة الحفاظ (٣/٢٤٦).

(١٨٨) ذكره ابن قيم الجوزية في معرض تفسيره للآية، انظر: مدارج السالكين (١/٣٧٧).

زنا أو تقامر أو شرب خمر. فدخل في الفحشاء كل ما يوجب اختلال المناسب الضروري، وقد سمّاها الله الفواحش"[١٨٩].

وقال السعدي (١٣٧٦): " {وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ} وهو كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر كالشرك بالله والقتل بغير حق والزنا والسرقة والعجب والكبر واحتقار الخلق وغير ذلك من الفواحش "[١٩٠].

قوله: "والمنكر": هو نقيض المعرفة أو خلاف المعروف، والجمع مناكير.

قال الأزهري (ت ٣٧٠): "النكرة: إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة، ويقال: أنكرت الشيء وأنا أنكره إنكاراً، قال الأعشى:

وأَنْكَرَتني وما كان الذي نَكِرَتْ من الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا[١٩١]

وقال الله عزّ وجل: ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[هود: ٧٠].

واللازم من فعل النُّكْرِ المُنْكَرِ نَكَر نَكَارة"[١٩٢].

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥): "نَكرَ: النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، ونكر الشيء وأنكره: لم يقبله قلبه، ولم يعترف به لسانه"[١٩٣].

---

(١٨٩) انظر: تفسيره (٢٠٧/١٣).

(١٩٠) انظر: تفسيره (ص٤٤٧).

(١٩١) انظر: شرح ديوان الأعشى، د/حنا نصر الحتي (ص١٩٨)، ومعنى البيت: وأنكرتني متجاهلة ما كان بيني وبينها من الحب والود، وما كان الذي أنكرت إلا الشيب والصلع.

(١٩٢) انظر: تهذيب اللغة (١٠٩/٥)، مادة "نكر".

(١٩٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤٧٦/٥)، مادة "نكر".

وقال الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥): "والمنكر: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة"[١٩٤].

وكذا قال غير واحد من أهل اللغة كالزمخشري (ت ٥٣٨) [١٩٥]، وابن منظور (٧١١)[١٩٦]، والسمين الحلبي (ت ٧٥٦)[١٩٧]، هذا من حيث اللغة.

أما المراد به في الآية الكريمة فقد اختلف المفسرون فيه على أقوال، منها:

القول الأول: أن المراد به في الآية الكريمة: الشرك، وبه قال ابن عباس (ت ٦٨)[١٩٨]، ومقاتل (ت ١٥٠)[١٩٩].

القول الثاني: أن المراد به في الآية الكريمة: ما لم يعرف في شريعة ولا سنة، وبه قال ابن عباس (ت ٦٨) [٢٠٠]، وعطاء الكلبي (ت ١٤٦) [٢٠١]، والسمرقندي (من علماء القرن الرابع الهجري) [٢٠٢]، والبغوي (ت ٥١٦) [٢٠٣]، وابن العربي (ت ٥٤٣)[٢٠٤]، وابن القيم (ت ٧٥١)[٢٠٥]، وأبو السعود (ت ٩٨٢)[٢٠٦].

---

(١٩٤) انظر: المفردات (ص٨٢٣).

(١٩٥) انظر: أساس البلاغة (ص٨٧٦).

(١٩٦) انظر: لسان العرب (٢٧٢/٥).

(١٩٧) انظر: عمدة الحفاظ (٢٥٢/٤).

(١٩٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٩٩/٧)، والسيوطي (١٤٠/٥).

(١٩٩) انظر: تفسيره (٤٨٣/٢).

(٢٠٠) ذكره عنه ابن القيم، انظر: الضوء المنير (٦٣/٤).

(٢٠١) انظر: تفسير ابن الجوزي (٤٨٤/٤).

(٢٠٢) انظر: تفسيره (٢٨٧/٢).

(٢٠٣) انظر: تفسيره (٦٣٢/٢).

(٢٠٤) انظر: تفسيره (١٥٥/٣).

(٢٠٥) انظر: الضوء المنير (٦٣/٤).

القول الثالث: أن المراد به في الآية الكريمة ما وعد الله عليه النار، وبه قال الكلبي (ت ١٤٦)[٢٠٧].

القول الرابع: أن المراد به في الآية الكريمة: أن تكون علانيته أحسن من سريرته، قاله سفيان بن عيينة (ت ١٩٨)[٢٠٨].

القول الخامس: أن المراد به في الآية الكريمة ما ظهر من المحرمات، فينكر، وبه قال ابن كثير (ت ٧٧٤)[٢٠٩]، وذكره الماوردي (ت ٤٥٠) من غير نسبة لأحد[٢١٠].

قال ابن كثير (ت ٧٧٤): "وقوله: "وينهى عن الفحشاء والمنكر" الفواحش: المحرمات، والمنكرات: ما ظهر منها من فاعلها، ولهذا قال في الموضع الآخر: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣][٢١١].

القول السادس: أن المراد به في الآية: القبائح[٢١٢].

القول السابع: أن المراد به في الآية: جميع المعاصي، وبه قال ابن عطية (ت ٥٤٦)[٢١٣]، والشوكاني (ت ١٢٥٠)[٢١٤].

القول الثامن: أن المراد به في الآية: الكفر بالله[٢١٥].

=(٢٠٦) انظر: تفسيره (٨٨/٤).

(٢٠٧) انظر: تفسير ابن الجوزي (٤٨٤/٤).

(٢٠٨) انظر: تفسير الطبري (١٩٩/٨)، وتفسير الماوردي (٢٠٩/٣).

(٢٠٩) انظر: تفسيره (٥٩٥/٥).

(٢١٠) انظر: تفسيره (٢٠٩/٣).

(٢١١) انظر: تفسيره (٥٩٥/٥).

(٢١٢) ذكره الماوردي (٢٠٩/٣).

(٢١٣) انظر: تفسيره (٤٩٦/٨).

(٢١٤) انظر: تفسيره (٢٢٤/٣).

الترجيح

الراجح والله تعالى أعلم أن المنكر في الآية الكريمة عام يعم جميع المعاصي والرذائل في حق الله سبحانه وتعالى.

قال القرطبي (ت ٦٧١): "والمنكر: ما أنكره الشرع بالنهي عنه، وهو يعمُّ جميع المعاصي والرذائل والدناءات على اختلاف أنواعها"(٢١٦).

وقال ابن عاشور: (ت ١٣٩٣): "وأما المنكر فهو ما تستنكره النفوس المعتدلة وتكرهه الشرائع من فعل أو قول، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢]، وقال: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، والاستنكار مراتب، منها مرتبة الحرام، ومنها مرتبة المكروه، فإنه منهي عنه، وشمل المنكر كل ما يفضي إلى الإخلال بالمناسب الحاجي، وكذلك ما يعطل المناسب التحسيني، بدون ما يفضي منه إلى ضر"(٢١٧).

وقال السعدي (ت ١٣٧٦): "ويدخل في المنكر كل ذنب ومعصية متعلق بحق الله تعالى"(٢١٨).

قوله: "**والبغي**": البغي في اللغة التعدي والتجاوز.

قال الجوهري (ت ٣٩٣): "البغي: التعدي، وبغى الرجل على الرجل استطال، وبغت السماء، اشتد مطرها، وبغى الجرح: وَرِمَ، وترامَى إلى فساد، وبغى

=(٢١٥) ذكره ابن عادل (١٤٣/١٢).

(٢١٦) انظر: تفسيره (٤١٤/١٢).

(٢١٧) انظر: تفسيره (٢٠٧/١٣).

(٢١٨) انظر: تفسيره (ص٤٤٧).

الوالي: ظَلَم، وكل مجاوزة في الحد إفراط على المقدار الذي هو حد الشيء، فهو بغي"[٢١٩].

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥): "بغي: الباء والغين والياء أصلان: أحدهما طلب الشيء، والثاني: جنسٌ من الفساد، ... والأصل الثاني: قولهم بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد، ثم يشتق من هذا ما بعده، فالبغي الفاجرة، تقول: بغت تبغي بِغاءً، وهي بغي، ومنه أن يبغي الإنسان على آخر، ومنه بغي المطر، وهو شدته ومعظمه، وإذا كان ذا بغي فلا بد أن يقع منه فساد"[٢٢٠].

وقال الراغب (ت ٤٢٥): "والبغي على ضربين: أحدهما محمود، وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى التطوع، والثاني: مذموم، وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبهة، ولأن البغي قد يكون محموداً ومذموماً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الشورى: ٤٢] فخص العقوبة ببغيه بغير الحق" [٢٢١].

هذا من حيث اللغة، وأما المراد به في الآية الكريمة: فله صلة قوية بالمعنى اللغوي، حيث ذكر المفسرون أقوالاً متنوعة وصفات متعددة لمعنى "البغي" كلها ترجع إلى معنى واحد، وهو كل عدوان على الخلق، لكن بعض المفسرين ذهب إلى تخصيص "البغي" بنوع معين، وصفة معينة من التجاوز على الناس، فمنهم من قال:

---

(٢١٩) انظر: الصحاح (٦/٢٢٨١)، مادة "بغى".

(٢٢٠) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/٢٧٢).

(٢٢١) انظر: المفردات (ص١٣٧).

الكبر[٢٢٢]، ومنهم من قال: الظلم[٢٢٣]، ومنهم من قال: الحقد[٢٢٤]، ومنهم من قال: الغيبة"[٢٢٥].

لكن الصحيح في ذلك أن يقال إن البغي: هو كل تجاوز وتطاول على الناس.

قال ابن العربي (ت ٥٤٣): "والبغي: هو الكبر والظلم والحسد والتعدي، وحقيقته تجاوز الحد من بغي الجرح"[٢٢٦].

وقال ابن كثير (ت ٧٧٤): "وأما البغي فهو العدوان على الناس، وقد جاء في الحديث ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم[٢٢٧]"[٢٢٨].

وقال أبو السعود (ت ٩٨٢): "والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبّر عليهم"[٢٢٩].

---

(٢٢٢) مروي عن ابن عباس، رواه عنه الطبري (١٩٩/٨)، وذكره عنه مكي في الهداية (٤٠٧٣/٦).

(٢٢٣) مروي عن ابن عباس، رواه عنه الطبري (١٩٩/٨).

(٢٢٤) ذكره الشوكاني في تفسيره (٢٢٤/٣).

(٢٢٥) ذكره السمعاني في تفسيره (١٩٦/٣).

(٢٢٦) انظر: تفسيره (١٥٥/٣).

(٢٢٧) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب النهي عن البغ ي، ح ديث (٤٩٠٢) (ص٦٩١)، والترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في عظم الوعيد على البغي وقطيعة الرحم حديث (٢٥١١) (ص٥٧١)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب البغي، حديث (٤٢١١) (ص٦١٣)، جميعهم من حديث أبي بكرة ﷺ.

(٢٢٨) انظر: تفسيره (٥٩٦/٥).

(٢٢٩) انظر: تفسيره (٨٨/٤).

وقال الشوكاني (ت ١٢٥٠): "وأما البغي فقيل: هو الكبر، وقيل: هو الظلم، وقيل: الحقد، وقيل: التعدي، وحقيقته تجاوز الحد، فيشمل هذه المذكورة ويندرج بجميع أقسامه تحت المنكر"(٢٣٠).

وقال السعدي (ت ١٣٧٦): "والبغي كل عدوان على الخلق في الدماء والأموال والأعراض"(٢٣١).

قوله: "**يعظكم**": الوعظ في اللغة من العِظَة: وهي الموعظة، يقال: وعظت الرجل أعظُهُ عِظةً وموعظة، واتعظ: تقبّل العِظَةَ، وهو تذكيرك إياه الخير، ونحوه مما يرق له قلبه، كذا قال الخليل (ت ١٧٥)(٢٣٢).

قال الأزهري (ت ٣٧٠): "العظة الموعظة، وكذلك الوعظ، والرجل يتعظ إذا قَبِل الموعظة حين يذكّر الخير ونحوه، مما يرق لذلك قلبه، يقال: وعظته عظة"(٢٣٣).

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥): "وعظ: الواو والعين والظاء: كلمة واحدة، فالوعظ: التخويف والعِظَة الاسم منه"(٢٣٤).

وقال الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥): "الوعظ: زجرٌ مقترن بتخويف، والعظة والموعظة: الاسم، قال تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾[سبأ: ٤٦]..."(٢٣٥).

---

(٢٣٠) انظر: تفسيره (٣/٢٢٤).

(٢٣١) انظر: تفسيره (ص٤٤٧).

(٢٣٢) انظر: العين (٢/٢٢٨)، مادة "وعظ".

(٢٣٣) انظر: تهذيب اللغة (٢/٩٣) مادة "وعظ".

(٢٣٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (٦/١٢٦) مادة "وعظ".

(٢٣٥) انظر: المفردات (ص٨٧٦).

وقال ابن منظور (ت ٧١١): "وعظ الوَعْظ والعِظَةُ والمَوْعِظَة: النصح والتذكير بالعواقب، ويقال: السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره"[٢٣٦].

وقد تنوعت آراء العلماء في معنى "الموعظة" في الآية على أقوال، منها:

القول الأول: أن المراد يعظكم في الآية الكريمة، أي: يوصيكم، وهو مروي عن ابن عباس (ت ٦٨)[٢٣٧]، وبه قال مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧)[٢٣٨].

القول الثاني: أن المراد بـ "يعظكم" في الآية الكريمة، أي: يؤدبكم، وبه قال ابن عباس (ت ٦٨)[٢٣٩]، ومقاتل (ت ١٥٠)[٢٤٠].

القول الثالث: أن المراد بـ "يعظكم" في الآية الكريمة، أي: يأمركم بما يأمركم به من الخير، وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشرِّ، وبه قال جمهور المفسّرين، ومنهم: السمرقندي (من علماء القرن الرابع الهجري)[٢٤١]، وابن كثير (ت ٧٧٤)[٢٤٢]، وأبو السعود (ت ٩٨٢)[٢٤٣]، والشوكاني (ت ١٢٥٠)[٢٤٤]، والقاسمي (ت ١٣٣٢)[٢٤٥]، والسعدي (ت ١٣٧٦)[٢٤٦].

---

(٢٣٦) انظر: لسان العرب (٥٢٦/٧) مادة "وعظ".

(٢٣٧) رواه عنه الطبري (١٩٩/٨)، وابن أبي حاتم (٢٢٩٩/٧).

(٢٣٨) انظر: تفسيره (٤٠٧٣/٦).

(٢٣٩) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤٨٤/٤).

(٢٤٠) انظر: تفسيره (٤٨٣/٢).

(٢٤١) انظر: تفسيره (٢٨٨/٢).

(٢٤٢) انظر: تفسيره (٥٩٦/٥).

(٢٤٣) انظر: تفسيره (٨٨/٤).

(٢٤٤) انظر: تفسيره (٢٢٥/٣).

(٢٤٥) انظر: تفسيره (١٥٠/١٠).

(٢٤٦) انظر: تفسيره (ص٤٤٧).

الترجيح

الراجح والله تعالى أعلم أن اللفظ محتمل لجميع المعاني التي ذكرها العلماء، فالوعظ: كلام يقصد منه إبعاد المخاطب عن الفساد، وتحريضه على الصلاح[٢٤٧]، فيدخل في ذلك معنى الوصية، ومعنى التأديب، ومعنى الأمر والنهي، فما ذكره العلماء يدخل تحت اختلاف التنوع لا التضاد.

قوله: "لعلكم تذكرون": التذكر في اللغة مراجعة المنسيِّ، المغفول عنه[٢٤٨].

قال ابن فارس (ت ٣٩٥): "الذال والكاف والراء أصلان، عنهما يتفرع كلم الباب...، والأصل الآخر: ذكرت الشيء خلاف نسيته، ثم حمل عليه الذكر باللسان"[٢٤٩].

وقال ابن منظور (ت ٧١١): "التذكرة ما تستذكر به الحاجة، واستذكر الشيء: درسه للذكر، والاستذكار: الدراسة للحفظ، والتذكر: تذكر ما أنسيته، وذكرت الشيء بعد النسيان"[٢٥٠].

هذا من حيث اللغة، وأما المراد بقوله: "لعلكم تذكرون" في الآية الكريمة، فقد تنوعت عبارات المفسرين في المراد بها:

فقيل: إن معناها: لعلكم تتعظون، ذكره ابن الجوزي (ت ٥٩٧)[٢٥١]، وأبو السعود (ت ٩٨٢)[٢٥٢]، والقاسمي (ت ١٣٣٢)[٢٥٣]، والسعدي (ت ١٣٧٦)[٢٥٤].

---

(٢٤٧) انظر: التحرير والتنوير (٢٠٩/١٣).

(٢٤٨) انظر: التحرير والتنوير (٢٠٩/١٣).

(٢٤٩) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٥٨/٢) مادة "ذكر".

(٢٥٠) انظر: لسان العرب (٣٥٧/٤) مادة "ذكر".

(٢٥١) انظر: تفسيره (٤٨٤/٤).

(٢٥٢) انظر: تفسيره (٨٨/٤).

وقيل: إن معناه لعلكم تعتبرون، ذكره السمعاني (ت ٤٨٩)[٢٥٥].

وقيل: إن معناه طلباً لأن تتعظوا بذلك، وتنتبهوا، ذكره الألوسي (ت ١٢٧٠)[٢٥٦].

وجميع هذه الأقوال لا تعارض بينها، وإنما هي من قبيل اختلاف التنوع، والله تعالى أعلم.

المبحث الخامس: القراءات القرآنية في الآية الكريمة

قوله تعالى: "إيتاء": قرأ حمزة (ت ١٥٦)، وهشام بن عمار (ت ٢٤٥)، بخلاف عنه، في الوقف على "إيتاء"، حيث رسمت الهمزة على ياء "إيتائي"، ونحوه مما رسم في المصحف بياء بعد الألف، وكذلك بإبدال الهمزة الثانية ألفاً مع المد، والقصر والتوسط، وبالتسهيل كالياء مع المد والقصر، فهذه خمسة أوجه عنهما.

وإذا أبدلته ياء على الرسم فالمد، والتوسط والقصر مع سكون الياء والقصر مع رَدْم حركتها، فتصير جملة القراءات تسعاً.

أما الهمزة الأولى: فلحمزة (ت ١٥٦) فيها وجهان، الأول: التحقيق، والثاني: التسهيل بَيْن بين، لتوسطها بزائد فصارت بذلك ثماني عشرة قراءة، وأما هشام (ت ٢٤٥) فلم يقرأ بغير التحقيق[٢٥٧].

=(٢٥٣) انظر: تفسيره (١٠/١٥٠).

(٢٥٤) انظر: تفسيره (ص٤٤٧).

(٢٥٥) انظر: تفسيره (٣/١٩٧).

(٢٥٦) انظر: تفسيره (١٤/٦١٣).

(٢٥٧) انظر: الإقناع لابن الباذش (١/٤٠٦)، النشر (١/٤٢٥)، (١/٤٦٤)، والبدور الزاهرة (٢/٢٦)، وإتحاف فضلاء البشر (٢/١٨٨).

قوله: "ذي القربى": قرأ حمزة (ت ١٥٦)، والكسائي (ت ١٨٩)، وخلف (ت ٢٢٩) بالإمالة محضة.

وقرأ أبو عمرو (ت ١٥٤) بالإمالة بين بين.

وقرأ نافع (ت ١٦٩) بالفتح وبين اللفظين.

وقرأ الباقون بالفتح [٢٥٨].

قوله: "وينهى": قرأ حمزة (ت ١٥٦)، والكسائي (ت ١٨٩)، وخلف (ت ٢٢٩) بالإمالة المحضة.

وقرأ نافع (ت ١٦٩) بالفتح وبين اللفظين.

وقرأ الباقون بالفتح [٢٥٩].

قوله: "والبغي يعظكم": قرأ أبو عمرو (ت ١٥٤)، ويعقوب (ت ٢٠٥)، إدغام الياء في الياء، والإظهار[٢٦٠].

قوله: "تذكرون": قرأ حفص عن عاصم (ت ١٢٧)، وحمزة (ت ١٥٦)، والكسائي (ت ١٨٩)، وخلف (ت ٢٢٩)، بتخفيف الذال "تَذَكرون".

وقرأ الباقون: بتشديد الذال "تَذَّكرون"[٢٦١].

---

(٢٥٨) انظر: النشر (٣٦/٢)، التيسير (ص٤٦)، البدور الزاهرة (٢٦/٢)، إتحاف فضلاء البشر (١٨٨/٢)، معجم القراءات (٦٧٨/٤).

(٢٥٩) انظر: النشر (٣٦/٢)، البدور الزاهرة (٢٦/٢)، وإتحاف فضلاء البشر (١٨٨/٢)، ومعجم القراءات (٦٧٩/٤).

(٢٦٠) انظر: التلخيص في القراءات الثمان (ص٣٠٩)، والتبصرة في قراءة الأئمة العشرة (ص٣٤١)، والمصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر (٦٣/٣)، ومعجم القراءات (٦٧٩/٤).

(٢٦١) انظر: السبعة لابن مجاهد (ص٢٧٢)، البدور الزاهرة (٢٦/٢)، إتحاف فضلاء البشر (١٨٨/٢)، ومعجم القراءات (٦٨٠/٤).

المبحث السادس: الإعراب والبلاغة

المطلب الأول: إعراب الآية الكريمة

"إن": حرف نصب وتوكيد.

"الله": لفظ الجلالة، اسم "إن" منصوب للتعظيم بالفتحة.

"يأمر": فعل مضارع مرفوع بالضمة، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو، وجملة "يأمر" في محل رفع خبر إن.

"بالعدل": جار ومجرور متعلق بيأمر، أي بإقامة العدل، فحذف المضاف المجرور بالياء، وحل محله المضاف إليه.

"والإحسان وإيتاء ذي القربى": الكلمتان "الإحسان" و"إيتاء" معطوفتان بواوي العطف على "العدل" مجرورتان مثلها.

"ذي": من الأسماء الخمسة مضاف إليه مجرور بالياء، والمضاف هو المصدر "إيتاء" وهو من إضافة المصدر لمفعوله وهو مضاف.

"القربى": مضاف إليه مجرور "لذي" وهو مجرور بالكسرة المقدرة على الألف للتعذر، والمعنى: وإعطاء ذي القرابة – الأقارب – ما يحتاجون إليه، فحذف مفعول المصدر "إيتاء".

"وينهى عن الفحشاء": معطوفة بالواو على "يأمر" بالعدل والإحسان وإيتاء، وتعرب إعرابها، فجملة "ينهى" في محل رفع، معطوفة على جملة يأمر.

"وينهى": فعل مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الألف، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

"الفحشاء": جار ومجرور متعلق بـ "ينهى".

"والمنكر والبغي": اسمان معطوفان على الفحشاء بحرفي العطف مجروران.

"يعظكم": فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو، يعود على "الله"، والكاف: ضمير المخاطبين في محل نصب مفعول به، والميم علامة جمع الذكور.

وجملة "يعظكم" في إعرابها ثلاثة أوجه:

الأول: يجوز أن تكون جملة "يعظكم" في محل نصب حال من فاعل يأمر وينهى، والتقدير وهو يعظكم، قال به العكبري (ت ٦١٦)[٢٦٢]، والسمين الحلبي (ت ٧٥٦)[٢٦٣].

الثاني: يجوز أن تكون جملة "يعظكم" مستأنفة لا موضع لها من الإعراب، قال به الهمذاني (ت ٦٤٣)[٢٦٤].

الثالث: يجوز أن تكون جملة "يعظكم" في محل رفع بدلٍ من "يأمر"، قال به بهجت عبدالواحد صالح[٢٦٥].

قوله "لعلكم": لعل: حرف مشبه بالفعل للترجي، والكاف: ضمير المخاطبين في محل نصب اسم "لعل" والميم علامة جمع الذكور.

وجملة "لعلكم تذكرون" لا محل لها تعليلية أو لا محل لها جملة استئناف بياني.

"تذكرون": أي تتذكرون، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً، وهي فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل.

وجملة "تذكرون" من الفعل والفاعل في محل رفع خبر "لعل" [٢٦٦].

---

(٢٦٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن (ص٥١٤).

(٢٦٣) انظر: الدر المصون (٨٢٠/٧).

(٢٦٤) انظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (١٤٢/٤).

(٢٦٥) انظر: الأعراب المفصل لكتاب الله المرتل (١٩٧/٦).

(٢٦٦) انظر في إعراب الآية الكريمة كلاً من: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (١٤٢/٤)، إملاء ما من

المطلب الثاني: الفنون البلاغية في الآية الكريمة

هذه الآية الكريمة على قصرها إلا أنها اشتملت على معان جميلة، وأفانين بلاغية كثيرة، ذكرها العلماء المعنيون بهذا النوع من تفسير القرآن الكريم، وهي كالتالي:

١- الإيجاز: فقد أمر في أول الآية بكل معروف، ونهى بعد ذلك عن كل منكر، وختم الآية بأبلغ العظات، وجعل ذلك في أوجز العبارات.

٢- صحة التقسيم: فقد استوفى فيها جميع أقسام المعنى، فلم يبق معروف إلا وهو داخل نطاق الأمر، ولم يبق منكر إلا وهو داخل في حيز النهي، وقد ذكر العدل؛ لأنه واجب، وتلاه بالإحسان؛ لأنه مندوب، ليقع نظم الكلام على أحسن ترتيب، وقرنهما في الأمر؛ لأن الفرض لا يخلو من خلل وتفريط يجبره الندب والنوافل، وخص ذا القربى بالذكر بعد دخوله في عموم من أمر بمعاملته بالعدل والإحسان لبيان فضل ذي القربى، وفضل الثواب عليه.

٣- الطباق اللفظي والمقابلة بين يأمر وينهى، وبين العدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وبين الفحشاء والمنكر والبغي.

٤- حسن النسق: في ترتيب الجمل، وعطف بعضها على بعض كما ينبغي، حيث قدم العدل وعطف عليه الإحسان، لكون الإحسان اسماً عاماً، وإيتاء ذي القربى خاص، فكأنه نوع من ذلك الجنس، ثم أتى بجملة الأمر مقدمة، وعطف عليها جملة النهي.

=به الرحمن (ص٣٨١)، الجدول في إعراب القرآن (٣٧٤/٧)، إعراب القرآن الكريم (٢٨٩/٤)، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل (١٩٧/٦)، ومعرض الإبريز من كلام الوجيز (٨٢/٣).

٥- التسهيم: لأن صدر الكلام يدل على عجزه، كدلالة صدر البيت المسهم على عجزه.

٦- حسن البيان: لأن لفظ الآية لا يتوقف من سمعه في فهم معناه؛ إذ سلم من التعقيد في لفظه، ودل على معناه دلالة واضحة بأقرب الطرق وأسهلها، واستوى في فهمه الذكي والغبي.

٧- الائتلاف: لأن كل لفظة لا يصلح مكانها غيرها.

٨- المساواة: لأن ألفاظ الكلام قوالب لمعانيه، لا تفضل عنها، ولا تقصر دونها.

٩- تمكين الفاصلة: لأن مقطع الآية مستقر في حيزه، ثابت في مقره وقراره، معناه متعلق بما قبله إلى أول الكلام، ولأنه لا تحسن الموعظة إلا بعد التكليف ببيان الأمر والنهي، ولأن أي لفظة حذفتها من ألفاظ الآية يختل المعنى بحذفها اختلالاً ظاهراً، وينقص نقصاً بيِّناً (٢٦٧).

المبحث السابع: الفوائد والاستنباطات

اشتملت الآية الكريمة على عدد من الفوائد والاستنباطات، اجتهدت في جمعها من كلام العلماء الذين تكلّموا حول الآية الكريمة، وهي كالتالي:

---

(٢٦٧) انظر: كتاب إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين درويش (٢٩٠/٤)، وكتاب الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي (٣٧٥/٧).

١- ذكر ابن التين (ت ٦١١) أنه يستفاد من هذه الآية أن دلالة الاقتران ضعيفة[٢٦٨]، لجمعه تعالى بين العدل والإحسان في أمر واحد، والعدل واجب، والإحسان مندوب[٢٦٩].

٢- ذكر بعض العلماء خصائص للفظ الجلالة "الله" وهي كما يلي:

أ) أن هذا الاسم ما أطلق على غير الله تعالى، والعرب كانت تطلق على آلهتهم التي يعبدونها (آلهة)، ولا يطلقون هذا الاسم إلا على الله تعالى، قال عزّ وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وهذا أحد معنيي ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ولذلك لم يثنَّ ولم يجمع، لذا فهو أشرف أسماء الله.

ب) أن هذا الاسم هو أصل في أسماء الله، وسائر الأسماء مضافة إليه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فأضاف سائر الأسماء إليه، ولا محالة أن الموصوف أشرف من الصفة، ولأنه يقال: الرحمن الرحيم الملك القدوس، كلها أسماء الله تعالى، ولا يقال: الله اسم الرحمن الرحيم، فدل على أن هذا الاسم هو الأصل.

ج) أن هذا الاسم دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا، وذلك لأنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم "الله"، واسم "الله" دال على كونه

---

(٢٦٨) دلالة الاقتران: "هو الجمع بين الدليلين واستخراج مدلول من مجموعهما لا يدل عليه الواحد منهما بانفراده". [انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للجعفر الفاسي (١/٣٠٠)].

(٢٦٩) استدرك على هذا الكلام ابن حجر في فتح الباري (١٠/٥٨٩) وقال: "وهو مبني على تفسير العدل والإحسان وقد اختلف السلف في المراد بهما في الآية".

مألوهاً معبوداً، تألهه الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله.

د) هذا الاسم له خاصية غير حاصلة في سائر الأسماء، وهي أن سائر الأسماء والصفات إذا دخل عليه النداء أسقط عنه الألف واللام، ولهذا لا يجوز أن يقال: يا الرحمن، يا الرحيم، بل يقال: يا رحمن، يا رحيم، أما هذا الاسم فإنه يحتمل هذا المعنى؛ فيصح أن يقال: يا الله، وذلك أن الألف واللام في هذا الاسم صار كالجزء الذاتي، فلا جرم لا يسقطان حال النداء، وفيه إشارة لطيفة؛ وذلك لأن الألف واللام للتعريف، فعدم سقوطهما عن هذا الاسم يدل على أن هذه المعرفة لا تزول أبداً البتة.

هـ) أن هذا الاسم تكرر في كتاب الله عدداً يفوق كثيراً أي اسم آخر، فقد تكرر في كتاب الله (٢٦٠٢) مرة، منها (٩٨٠) مرة مرفوعاً، و(٥٩٢) مرة منصوباً، و(١١٢٥) مرة مجروراً، وخمس مرات بلفظ "اللهم" [٢٧٠].

٣- روي عن مجموعة من الصحابة والتابعين[٢٧١]، وبه قال جمهور العلماء[٢٧٢]، إلى أن لفظ الجلالة "الله" هو الاسم الأعظم، وذلك إشارة إلى مجموعة من الأحاديث جمعها بعض المؤلفين[٢٧٣]، بل وخصّها بعض علماء السنة بباب

---

(٢٧٠) انظر: كتاب اسم الله الأعظم، د/عبدالله الدميجي (ص١٣٣-١٣٥)، وكتاب أسماء الله وصفاته بمعتقد أهل السنة والجماعة (ص٨٧).

(٢٧١) كابن عباس رضي الله عنهما، والشعبي، وجابر بن زيد، وابن المبارك. [انظر: اسم الله الأعظم، د/عبدالله الدميجي (ص١٣٠)].

(٢٧٢) انظر: المصدر السابق.

(٢٧٣) انظر: كتاب "اسم الله الأعظم جمع ودراسة وتحليل للنصوص وأقوال العلماء الواردة في ذلك، د/عبدالله الدميجي".

مستقل[٢٧٤]، من هذه الأحاديث: حديث عبدالله بن بريدة الأسلمي عن أبيه، قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قال: فقال: "والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى"، وفي أحد لفظي أبو داود: "لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دُعي به أجاب"[٢٧٥].

وهذا الحديث هو أصح الأحاديث الواردة في إثبات الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى[٢٧٦].

٤- إثبات توحيد الألوهية من قوله سبحانه وتعالى: "الله".

٥- من الآيات التي جمع الله فيها بين الأمر والنهي والتفضل بالإحسان قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦]، فهذا عدل، ثم دعاء إلى الإحسان بقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وقوله: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]، فهذا عدل، ثم دعاء إلى الإحسان بقوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾

---

(٢٧٤) انظر مثلاً: ابن ماجة، حيث عقد باباً مستقلاً باسم "باب اسم الله الأعظم" في كتاب الدعاء، باب رقم (٩) (ص٥٥١).

(٢٧٥) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء حديث (١٤٩٣) (ص٢٢١)، وقال الألباني: "حديث صحيح". انظر: صحيح سنن أبي داود (١/٤١٠).

(٢٧٦) انظر: اسم الله الأعظم، د/عبدالله الدميجي (ص١٠٣).

[الشورى: ٤١]، فهذا عدل، ثم دعا إلى الإحسان بقوله: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

٦- من الآيات التي أمر الله سبحانه فيها بالعدل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨].

٧- من الآيات التي أمر الله سبحانه فيها بالإحسان قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

٨- ومن الآيات التي أمر الله فيها بإيتاء ذي القربى قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الروم: ٣٨]، وقوله: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الإسراء: ٢٦].

٩- ومن الآيات التي نهى الله فيها عن الفحشاء والمنكر والبغي قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، والمنكر وإن لم يصرح باسمه في هذه الآيات فهو داخل فيها(٢٧٧).

١٠- قوله: "وإيتاء ذي القربى" يستفاد منها ما يلي:

أ) في الآية إرشاد إلى صلة الأقارب والترغيب في التصدق عليهم.

---

(٢٧٧) انظر: أضواء البيان (٤١٧/٣).

ب) تخصيص الله سبحانه وتعالى بإعطاء ذي القربى لأن حقهم آكد وأوجب، إضافة إلى أنه اهتمام بشأنهم.

١١- قوله: "وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي"، تخصيص كل واحد بالذكر مع أنه داخل تحت كل نوع واحد، وهو الفحشاء دليل على الاهتمام به لشدة ضرره ووبال عاقبته.

١٢- هذه الآية من الآيات الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٢٧٨).

١٣- افتتاح الآية الكريمة بحرف التوكيد للاهتمام بشأن ما حوته، وتصديرها باسم الجلالة للتشريف.

١٤- ذكره سبحانه "يأمر"، و"ينهى" دون أن يقال: اعدلوا واجتنبوا الفحشاء للتشويق.

١٥- نهى الله سبحانه وتعالى عن الفحشاء والمنكر والبغي؛ لأنها أصول المفاسد(٢٧٩).

١٦- استدل بعض العلماء على أن صيغة الأمر تتناول الواجب والمندوب، وموضوعها المشترك، وتحقيق ذلك في علم الأصول (٢٨٠).

١٧- يكثر في القرآن إطلاق الوعظ على الأوامر والنواهي، كقوله هنا: "يعظكم لعلكم تذكرون"، مع أنه ما ذكر إلا الأمر والنهي في قوله: "إن الله يأمر

---

(٢٧٨) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٥٥/٣)، وتفسير ابن عطية (٤٩٦/٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤١٦/١٢)، وتفسير أبي السعود (٨٨/٤)، والشوكاني (٢٢٤/٤).

(٢٧٩) انظر: التحرير والتنوير (٢٠٧/١٣).

(٢٨٠) انظر: روح المعاني (٦١٣/١٤).

بالعدل..." الآية، مع أن المعروف عند الناس: أن الوعظ يكون بالترغيب والترهيب، ونحو ذلك لا بالأمر والنهي فكيف ذلك؟ فالجواب: أن يقال: إن ضابط الوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيه، فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله، وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه، فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفاً وطمعاً"[٢٨١].

١٨- وجوب العدل والإحسان، وإعطاء ذوي القربى حقوقهم الواجبة من البر والصلة.

١٩- تحريم الزنا واللواط، وكل قبيح اشتد قبحه من الفواحش الظاهرة والباطنة.

٢٠- تحريم البغي وهو الظلم بجميع صوره وأشكاله[٢٨٢].

٢١- قال غير واحد من أهل العلم: لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونها تبياناً لكل شيء وهدى، بل قد ألف عز الدين بن عبدالسلام كتاباً سماه "الشجرة" بيّن فيه أن هذه الآية اشتملت على جميع الأحكام الشرعية في سائر الأبواب الفقهية، وسماه السبكي في الطبقات "شجرة المعارف"[٢٨٣].

٢٢- روي عن عمر بن عبدالعزيز – رحمه الله – لما استخلف سنة ٩٩هـ كتب يأمر الخطباء بتلاوة هذه الآية في الخطبة يوم الجمعة، وتجعل تلاوتها عوضاً عما

---

(٢٨١) انظر: أضواء البيان (٤١٩/٣).

(٢٨٢) انظر: أيسر التفاسير (١٥٢/٣).

(٢٨٣) انظر: التحرير والتنوير (٢٠٩/١٣)، وروح المعاني (٦١٣/١٤).

كانوا يأتونه في خطبة الجمعة من كلمات سب علي بن أبي طالب ﷺ وفي تلاوة هذه الآية عوضاً عن ذلك السبّ دقيقة أنها تقتضي النهي عن ذلك السبّ إذ هو من الفحشاء والمنكر والبغي[٢٨٤].

الخاتمة

وبعد مدارسة الآية الكريمة وهي مدارسة لا تعدو أن تكون نقطة في بحر الآية العظيم، فالآية كما قال ابن مسعود ﷺ: "إنها أجمع آية في كتاب الله تعالى".

فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى، فهو مما أمر الله به.

وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه، وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس الأقوال، وترد إليها سائر الأحوال فتبارك من جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء[٢٨٥].

ولهذا أضع النقاط التالية التي تبين أهم ما توصلت إليه:

أولاً: علو منزلة ابن مسعود ﷺ.

ثانياً: صحة الأثر المروي عنه في كون الآية أجمع آية في كتاب الله.

ثالثاً: فضل الآية الكريمة.

---

(٢٨٤) انظر: التحرير والتنوير (٢٠٨/١٣).

(٢٨٥) انظر: تفسير السعدي (ص٤٤٧).

رابعاً: أن لفظ الجلالة "الله" هو اسم اختص به الحق سبحانه وتعالى وهو أول أسمائه.

خامساً: أن لفظ الجلالة كغيره من الأسماء مشتق غير جامد.

سادساً: أمر الله سبحانه ينقسم إلى قسمين، أمر كوني قدري، وأمر شرعي ديني.

سابعاً: أن العدل لفظ عام يدخل فيه كل عدل بين العبد وربه وبين العبد وغيره من الناس وبين العبد ونفسه.

ثامناً: أن المراد بـ "ذي القربى" هم أقارب الإنسان من جهة أبيه وأمه.

تاسعاً: أن الفحشاء اسم جامع لكل عمل أو قول تمقته النفوس لفساده.

عاشراً: الأفانين البلاغية التي اشتملت عليها الآية الكريمة.

هذا وأحمد الله عزّ وجل أولاً وآخراً، وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

[١] *القرآن الكريم*.

[٢] *إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر*، أحمد بن محمد البنا، تحقيق: د/شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

[٣] *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، محمد بن محمد المعروف بأبي السعود، تحقيق: عبداللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

[٤] *أسباب النزول*، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، مؤسسة الريان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

[٥] *أسباب النزول القرآني*، د/غازي عناية، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

[٦] *أسماء الله الحسنى*، أ.د/ عبدالله الغصن، دار الوطن، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

[٧] *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

[٨] *إعراب القرآن الكريم وبيانه*، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، الطبعة السابعة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

[٩] *بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية*، جمع وتوثيق: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

[١٠] *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة*، عمر بن قاسم النشار، تحقيق: علي بن محمد معوض وآخرون، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

[١١] *التبصرة في قراءات الأئمة العشرة*، علي فارس الخياط، تحقيق: د/رحاب محمد شقيقي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

[١٢] *التحرير والتنوير*، للطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

[١٣] *تذكرة الأريب في تفسير الغريب*، لابن الجوزي، تحقيق: د/علي البواب، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

[١٤] *التسهيل لعلوم التنزيل*، محمد أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق: د/عبدالله الخالدي، دار الأرقم.

[١٥] *تفسير أسماء الله الحسنى*، لإبي إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد بن يوسف الدقاق، دار الثقافة، الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

[١٦] *تفسير القرآن*، منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وآخرين، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

[١٧] *تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين*، عبدالرحمن بن محمد بن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

[١٨] *تفسير القرآن العظيم*، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة، الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

[١٩] *التفسير الكبير*، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

[٢٠] *تفسير مقاتل بن سليمان*، دراسة وتحقيق: د/عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

[٢١] *التلخيص في القراءات الثمان*، عبدالكريم الطبري، تحقيق: محمد حسن عقيل، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

[٢٢] *تناسق الدرر في تناسب السور*، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

[٢٣] *تهذيب اللغة*، محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

[٢٤] *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

[٢٥] *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، محمد بن جرير الطبري، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

[٢٦] *الجامع لأحكام القرآن*، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د/عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

[٢٧] *الجدول في إعراب القرآن*، محمود صافي، دار الرشيد، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

[٢٨] *خزانة الأدب*، عبدالقادر البغدادي، تحقيق: محمد عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

[٢٩] *الدر المنثور في تفسير المأثور بالمأثور*، جلال الدين السيوطي، تحقيق: نجدت نجيب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

[٣٠] *دلائل النبوة*، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د/عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

[٣١] *ديوان زهير بن أبي سلمى*، دار صادر.

[٣٢] *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، محمود الألوسي، تحقيق: محمد أحمد الأمد، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

[٣٣] *زاد المسير في علم التفسير*، عبدالرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

[٣٤] *السبعة في القراءات*، لابن مجاهد، تحقيق: د/شوقي ضيف، ط/دار المعارف، الطبعة الثالثة.

[٣٥] *صحيح البخاري*، محمد بن إسماعيل البخاري، إشراف: معالي الشيخ صالح آل الشيخ، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

[٣٦] *صحيح مسلم*، لمسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، إشراف: معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

[٣٧] *الضوء المنير على التفسير*، جمع علي حمد الصالحي، مكتبة دار السلام.

[٣٨] *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ*، السمين الحلبي، تحقيق: د/محمد التونجي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

[٣٩] *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: عبدالقادر شيبة الحمد، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

[٤٠] *فتح القدير*، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

[٤١] *فضائل القرآن*، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: مروان العطية وآخرين، دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

[٤٢] *فضائل القرآن*، محمد بن أيوب بن الضريس البجلي، تحقيق: غزوة بدير، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

[٤٣] *الكشاف*، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

[٤٤] *اللباب في علوم الكتاب*، عمر بن علي بن عادل الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

[٤٥] *لسان العرب*، لابن منظور الإفريقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

[٤٦] *محاسن التأويل*، لمحمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

[٤٧] *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالله الأنصاري وآخرون، وزارة الشؤون الإسلامية بدولة قطر.

[٤٨] *المحيط في اللغة*، إسماعيل بن عياد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

[٤٩] *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، عبدالله بن أحمد النسفي، تحقيق: مروان الشعار، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

[٥٠] *المصنف*، عبدالرزاق بن همام، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

[٥١] *معالم التنزيل*، لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

[٥٢] *معاني القرآن وإعرابه*، إبراهيم بن إسحاق الزجاج، تحقيق: د/عبدالجليل شلبي، دار الحديث، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

[٥٣] *معجم مقاييس اللغة*، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

[٥٤] *مفردات ألفاظ القرآن*، للراغب الأصبهاني، صفوان عدنان، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

[٥٥] *المنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى*، د/زين محمد شحاته، مكتبة دار بلنسية، الطبعة العاشرة، ١٤٢٢هـ.

[٥٦] *نظم الدرر في تناسق الآيات والسور*، لإبراهيم البقاعي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

[٥٧] *النهاية في غريب الحديث والأثر*، لابن الأثير، تحقيق: خليل محمود شيما، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

[٥٨] *الهداية إلى بلوغ النهاية*، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: مجموعة من الباحثين برسائل علمية في جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

[٥٩] *أحكام القرآن*، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط/دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

[٦٠] *الخصائص*، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد بن علي النجار، طبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٣٧١هـ.

[٦١] *تفسير القرآن*، لمحمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

The Most Challenging Verse in the Holy Quran
Interpretive Study

Dr. Ahmad Suliman Saleh Al-Khudair
Qassim university
Assistant professor at The college of Sharia and Islamic Studies
Department of Quran and Its Science

(Received 5/11/1432H; accepted for publication 13/3/1433H)

Abstract. This is an interpretive study for the most challenging verse in the Holy Quran , the research contained the Verse's reason of revelation, its advantage , meaning , its recitations manifestations and the rhetorical arts in it.

As well as , the benefits and extractions of the verse, then I concluded the research with the most important results and recommendations.